الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

جامعة مصطفى اسطمبولي

Université MUSTAPHA STAMBOULI de Mascara

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

Faculté des sciences Humaines et sociales

قسم: علم الاجتماع

الدكتورة: عقون مليكة

الدرجة العلمية: أستاذ محاضر أ

السند البيداغوجي الخاص بمقياس:

انثروبولوجية اجتماعية وثقافية

موجه لطلبة السنة الثانية ليسانس

فرع: علم اجتماع

ميدان: العلوم الاجتماعية

السنة الجامعية: 2021/2020

السداسي الثالث

وحدة التعليم الاستكشافية (اختيارية)

المادة: انثروبولوجية اجتماعية وثقافية

الرصيد: 02

المعامل: 01

الحجم الساعي خلال السداسي: 24 ساعة.

الحجم الساعي الأسبوعي: 2**سا** (محاضرة).

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة 40%+ امتحان كتابي60%

<u>ملاحظة هامة: المقياس في عرض التكوين بدون برنامج وهو مقياس سنوي</u>.

لذلك اجتهدنا في اقتراح محاور تكون أكثر عمقا بالنظر الى ما تم تناوله في السنة الأولى علوم اجتماعية في السداسي الأول والثاني .

المحور الأول: مدخل مفاهيمي

أولا: مدخل الى الانتروبولوجيا الاجتماعية

التعريف + النشأة +التطور

ثانيا: مدخل الى الانتروبولوجيا الثقافية

التعريف +النشأة +التطور

المحاضرة الأولى: مدخل الى الانتروبولوجيا الاجتماعية:

-التعريف /النشأة /التطور.

تعرف **الأنثروبولوجيا الاجتماعية** بأنّها العلم الذي يهتم بدراسة السلوك الاجتماعي الذي يأخذ شكل أنماط **اجتماعية** كالعائلة، وأنواع القرابة، والحزب السياسي، والقواعد القانونية، كما تدرس الترابط بين هذه النظم سواء في المجتمعات المتحضرة أو في المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها.

عرّف الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنّها: دراسة السلوك الاجتماعي الذي يتّخذ في العادة شكل نظم اجتماعية كالعائلة، ونسق القرابة، والتنظيم السياسي، والإجراءات القانونية، والعبادات الدينية، وغيرها. كما تدرس العلاقة بين هذه النظم سواء في المجتمعات المعاصرة أو في المجتمعات التاريخية، التي يوجد لدينا عنها معلومات مناسبة من هذا النوع، يمكن معها القيام بمثل هذه الدراسات. (بريتشارد، 1975، ص13)

ولذلك، فمن الضروري في دراسة الإنسان وأعماله، أن نميّز بين عبارة " ثقافة " وعبارة " مجتمع " المرافقة لها. فالثقافة – كما في تعريفاتها – هي طريقة حياة شعب ما، **أمّا المجتمع فهو تكتّل منظّم لعدد من الأفراد، يتفاعلون فيما بينهم ويتبعون طريقة حياة معيّنة .. وبعبارة أبسط: المجتمع مؤلّف من أناس، وطريقة سلوكهم هي ثقافتهم .**

وهنا تعدّ تصنيفات المؤسّسات والأنظمة الاجتماعية، أدوات نافعة للأغراض الوصفية، كما أنّ التعميمات بالنسبة للعلاقات المتداخلة والمتبادلة بين النماذج والمؤسّسات، تساعد في الاهتداء إلى نوع من النظام وسط أوضاع تبدو مشوّشة وغامضة، وفي زيادة الفهم الحقيقي للعمليات الاجتماعية. وفي الوقت ذاته، يعتمد هذا الفهم على دراسة النسق الكلّي الذي يؤلّف النظام الاجتماعي جزءاً منه. ويضمّ هذا النسق ثلاثة عناصر متميّزة، هي: شخصيّات الأفراد الذين يؤلّفون المجتمع، والبيئة الطبيعية التي يتعيّن على المجتمع أن يكيّف حياته وثقافته معها، وأخيراً المجموعة الكاملة من الوسائل الفنيّة اللازمة للمعيشة، التي تضمن استمرار بقاء المجتمع عن طريق نقلها من جيل إلى جيل. (لينتون، 1964، ص 357)

ولكن، هل يمكن أن نفصل على هذا الشكل بين الإنسان كحيوان اجتماعي، والإنسان كمخلوق ذي ثقافة؟ أليس السلوك الاجتماعي في الواقع سلوكاً ثقافياً؟ ألم نرَ أنّ الحقيقة الكبرى في دراسة الإنسان، هي الإنسان نفسه أكثر ممّا هي مُثُل الإنسان أو نظمه، أو حتى الأشياء المادية التي نتجت عن ارتباطه بتكتّلات نسمّيها " مجتمعات "؟

فالنظام الاجتماعي إذن، هو التعبير التقني الأنثروبولوجي الذي يدلّ على المظهر الأساسي في حياة الجماعة الإنسانية، وهو يشمل النظم التي تؤلّف إطاراً لأنواع السلوك جميعها، سواء كان فردياً أو اجتماعياً.

إنّ اللغة والحياة الاجتماعية المنظّمة، زوّدتا الإنسان بأدوات لنقل الثقافات، مهما بلغت من التعقيد، والمحافظة على تراثها بصورة غير إيجابية. وعملت الحياة الاجتماعية أيضاً على جعل الإنسان في حاجة إلى إرث اجتماعي، يفوق في ثروته ما تحتاج إليه الحيوانات. وتمّت المحافظة على المجتمعات البشرية، بتدريب أجيال متلاحقة من الأفراد.. ولذا كانت المجتمعات، هي نفسها، حصيلة الثقافة. (لينتون، 1964، ص 119)

وبناء على ذلك، تهدف دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية إلى تحديد العلاقات المتبادلة بين هذه النظم، سواء في المجتمعات القديمة التي تدرس من خلال آثارها المادية والفكرية، أو في المجتمعات الحديثة والمعاصرة، التي تدرس من خلال الملاحظة المباشرة لمنجزاتها وتفاعلاتها الخاصة والعامة.

ثانياً-نشأة الأنثروبولوجيا الاجتماعية وتطوّرها يعدّ اهتمام الأنثروبولوجيا عامة، والأنثروبولوجيا الاجتماعية خاصة، بدراسة المجتمعات الإنسانية، وعلى المستويات الحضارية كافة، منطلقاً أساسيّاً من فلسفة علم الأنثروبولوجيا وأهدافها، ولا سيّما دراسة أساليب حياة المجتمعات المحلية، إلى جانب دراسات ما قبل التاريخ، ودراسات اللغات واللهجات المحلية .. وهذا ما يميّز الأنثروبولوجيا من العلوم الإنسانية الاجتماعية الأخرى، ولا سيّما علم الاجتماع.

ويوصف علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية بأنّه علم حديث العهد، لا بل من أكثر العلوم الاجتماعية حداثة. فقد استخدم مصطلح (الانثروبولوجيا الاجتماعية) للمرّة الأولى في عام 1980عندما كرّمت جامعة ليفربول العالم جيمس فريزر ومنحته لقب الأستاذ. وممآ يدلّ على حداثة هذا العلم الذي يدرس الجانب الطبيعي التطبيقي، من البنى الاجتماعية، ذلك الاختلاف الذي ما يزال قائماً بين علماء الاجتماع حول هذه التسمية: (الأنثروبولوجيا الاجتماعية).

ولكن على الرغم من حداثة هذا العلم، فقد مرّ بمراحل متعدّدة أسهمت في نشوئه وتطوّره واستكمال عناصره إلى حدّ بعيد، بدءاً من القرن الثامن عشر وحتى الوقت الحاضر.

1- مرحلة النشأةق18:

تعدّ الدراسات التي أجريت في القرن الثامن عشر حول الأبنية الاجتماعية، وأنساق القيم السائدة فيها، من أهمّ الدراسات التي مهّدت لظهور الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وكان في مقدّمتها كتاب " روح القوانين " الذي ألّفه مونتسيكو عالم الاجتماع الفرنسي، والذي أكّد فيه أنّ المجتمع البشري وما يحيط به، يتكوّن من مجموع نظم مترابطة، بحيث لا يمكن فهم القوانين عند أي شعب من الشعوب، إلاّ إذا درست العلاقات التي تحكم هذا النظام أو ذاك، بما فيها البيئة والحياة الاقتصادية، والسكان والمعتقدات والأخلاق السائدة، حيث ميّز الفيلسوف الفرسي مونتسيكو بين البناء الاجتماعي والنظام القيمي، على الرغم من العلاقة بينهما. وأوضح أنّ المجتمع ذاته وما يحيط به، يتكوّن من نظم يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً وظيفيّاً، وبالتالي لا يمكن فهم القانون العام لدى أي شعب من الشعوب، إلاّ إذا درسنا العلاقات بين هذه القوانين كلّها، ومن ثمّ دراسة علاقة تلك القوانين بالبيئة الطبيعيّة والحياة الاقتصادية، وعدد السكان والأعراف والتقاليد السائدة أو التي كانت سائدة. (الجباوي، 1982، ص101)

ولكن / سان سيمون / عالم الاجتماع الفرنسي أيضاً، يعدّ أول من رأى ضرورة إنشاء علم للمجتمع، واقترح إنشاء علم وضعي للعلاقات الاجتماعية. واعتبر أنّ مهمّة علماء الاجتماع لا تقتصر على دراسة المفاهيم والتصوّرات الاجتماعية فحسب، وإنّما يجب أن تشمل تحليل الوقائع والحقائق التي تعزّزها.

وإذا كان سيمون لم يقصد تماماً إنشاء علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية وإنّما قصد إيجاد علم خاص يدرس النظم الاجتماعية وعلاقاتها دراسة موضوعيّة، فإنّ ذلك تحقّق فعلاً بجهود تلميذه أوغست كونت.

هذا في فرنسا .. أمّا في إنكلترا، فقد ظهرت دراسات تمهيدية للأنثروبولوجيا الاجتماعية، ولا سيّما أبحاث دافيد هيوم وآدم سميث حيث نُظر إلى كلّ مجتمع إنساني على أنّه نسق طبيعي ينشّأ من الطبيعة البشرية، وليس عن طريق التعاقد. ولذلك انتشرت مفاهيم جديدة، مثل: الأخلاق الطبيعية

والدين الطبيعي. واعتبر المجتمع (أي مجتمع إنساني) ظاهرة طبيعية، لا بدّ من استخدام المنهج التجريبي والاستقرائي، عند دراسته بدلاً من المناهج العقلية الفلسفية .

وظهرت في هذه المرحلة التمهيديّة بوادر الاهتمام بالمجتمع البدائي، اعتماداً على رحلات الاستكشاف للآثار والمتاحف والمصادر المختلفة. وقد نُظر إلى الإنسان البدائي على أنّه متوحّش في مجتمعه، وهمجي في سلوكاته .. يتناقض كليّة مع إنسان المجتمع المتمدّن والمتقدّم. وخير مثال على ذلك، ما كتبه جون لوك عن الهنود الحمر في أمريكا، حيث أصدر أحكاماً عامة وغير دقيقة، عن هذه الشعوب البدائية .

والخلاصة، إنّ علماء القرن الثامن عشر وفلاسفته، مهما تكن آراؤهم، مهّدوا بشكل أساسي لظهور علم دراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وذلك نتيجة لاهتمامهم بالنظم الاجتماعية من جهة، واعتبارهم المجتمعات الإنسانية أنساقاً طبيعية، في إطار (الطبيعة البشرية) من جهة أخرى يجب أن تدرس من خلال المناهج التجريبية، على الرغم من أنّ دراسات هؤلاء المعنيين كانت بعيدة عن طبيعة هذه المناهج، وكانت تعتمد على التحليل الصوري (الشكلي).

2-مرحلة التطور ق19:

يعدّ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فترة نشوء الأنثروبولوجيا كعلم معترف به .. وقد أسهم في ذلك صدور العديد من الدراسات والكتب التي بحثت في هذا العلم وحدّدت معالمه الأساسية، ولا سيّما مؤلّفات كلّ من (تايلور وماكلينان) في إنكلترا،و(بافوفين) في سويسرا، حيث اهتمّ هؤلاء بجمع المعلومات عن الشعوب البدائية، وأبرزوها بصورة منهجية منظّمة، من خلال دراسة النظم الاجتماعية، وفي حدود الأبنية الاجتماعية لهذه المجتمعات، وليس في حدود الفلسفة وعلم النفس. فوضعوا بذلك أسس علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

فقد فسّر ماكلينان مثلا: تحريم زواج المحارم في بعض هذه المجتمعات البدائية (نظام الزواج الأكسوجامي)، استناداً إلى ظواهر اجتماعية أو عقائد خاصة بتلك المجتمعات، رافضاً إرجاعه إلى أسباب بيولوجية أو نفسية. كما أنّ طريقة الزواج التي تتمثّل في عملية خطف العروس، لم تستند إلى نظريات نفسية أو فلسفية، وإنّما ترجع إلى عادات مترسّبة من الماضي في ممارسة السبي والاغتصاب. (لطفي، 1979، 82).

ولم يكن رواد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في القرن التاسع عشر، يستخدمون الدراسات الميدانية، بل

اعتمدوا على أقوال الرحالة والمستكشفين ورجال الإدارة .. ولذلك، تعدّ هذه المرحلة فترة نشوء هذا العلم، وليست فترة كماله ونضجه، لأنّ الدراسات الميدانية التطبيقية تعدّ من الركائز الأساسية لتكامل هذا العلم، بطبيعته ومنهجيّته .

وقد تميّزت هذه المرحلة بظهور مدرستين متداخلتين، هما: النشوئية والتطوريّة. ويعود تداخلهما إلى أنّ العالِم الأنثروبولوجي، أو العالم الاجتماعي عندما يقوم بتفسير عمليّة التطوّر في أي نظام اجتماعي، من الماضي إلى الحاضر، لا بدّ أن يعمد إلى تحديد نشأة هذا النظام، وذلك بالعودة إلى المجتمعات البدائية لدراستها واستخلاص صفاتها وعلاقاتها، باعتبارها تمثّل التاريخ المبكر للجنس البشري .

مثال ذلك: (نشأة الأسرة وتطورها) من حيث الإباحية الجنسية، وتعدّد الزوجات وصولاً إلى وحدانية الزوجة. وكذلك الانتساب إلى الأم ومن ثمّ إلى الأب. وهذه العودة إلى الشعوب البدائية، لا تقتصر على الأنثروبولوجيا فحسب، بل تشمل سائر فروع المعرفة الخاصة بالعلوم الإنسانية .

وقد تأثّر رواد هذه المدرسة، وفي مقدّمتهم إدوارد تايلور بنظرية داروين، في تطوّر الحياة الطبيعيّة للكائنات البشرية، وتستند هذه النظرية إلى أنّ العناصر المركبّة في الحضارة الإنسانية، تتطوّر باستمرار من الأشياء البسيطة إلى الأشياء المعقّدة، وهذا ما ينسحب على تطوّر النظم الاجتماعية.

ويرتبط اسم داروين على الأقلّ في أذهان عامة المثقفين في العالم، بأنّه الرجل الذي نادى بنظرية التطوّر متحدّيا فكرة الخلق، وذهب في ذلك إلى حدّ القول بانحدار البشر من القردة العليا. ولكنّ الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك، حسب تعبير الأستاذ كريستوفر بوكر فلم يكن داروين هو مؤسّس تلك النظرية، إذ سبقه إليها عدد كبير من العلماء الطبيعيين الذين كانوا يرون أنّ صور الحياة المختلفة، تطوّرت كلّها على شكل واحد بسيط، أي أنّ هذه الأشكال لم تخلق خلقاً مستقلاً ومتميّزاً كلّ منها عن الآخر.

وقد انتشرت هذه الأفكار قبل ظهور كتاب داروين عن " أصل الأنواع " بسبعين سنة على الأقلّ. وكان كلّ ما فعله داروين، هو أنّه قام بتجميع تلك الأفكار والآراء المبعثرة والمتناثرة، وتحليلها بطريقة منهجية، فيها قدر كبير من محاولة الفهم والتعمّق. ومن هنا ساعد كتاب " أصل الأنواع " في توطيد فكرة التطوّر وترسيخها. ولكنّ الأهمّ من ذلك، هو أنّ الكتاب يقدّم نظرية عن الطريقة التي حدث

فيها التطوّر، ووضع في ذلك مبدأه الشهير عن " الانتخاب الطبيعي " الذي فسّر به استمرار بعض الأنواع في الحياة، واختفاء بعضها الآخر في معركتها الكبرى وصراعها من اجل الحياة.

وعلى الرغم من أنّه مبدأ بيولوجي في الأصل، إلاّ أنّه كان مفيداً للأنثروبولوجيين. وفي ذلك يقول الأستاذ ألفريد كروبر وهو من أكبر علماء الأنثروبولوجيا المعاصرين: " إنّ هناك نوعاً من عدم التناسب بين الإسهام المحدود الذي أسهم به داروين في العلم، والذي ينحصر في وضع مبدأ الانتخاب الطبيعي وتجسيده، وبين كلّ ذلك التأثير الهائل الذي تركه تأسيس المبدأ البيولوجي على العلم الكلّي ". فقد دفع هذا المبدأ علماء القرن التاسع عشر، إلى البحث عن أصول الأشياء. وظهرت بذلك كتابات كثيرة تتناول أصل اللغة وأصل الحضارة، وأصل المجتمع والعائلة والدين، وما إلى ذلك بالطريقة نفسها التي تناول بها داروين مشكلة أصل الأنواع. (أبو زيد، 2001، 23-24)

ولذلك ركّز العلماء التطوّريون، على موضوعات معيّنة: كالدين والعائلة، والنسب، واعتبروا أنّ الحضارات البدائية المعاصرة، تمثّل شواهد دالّة على مراحل التطوّر الاجتماعي التي مرّت بها الحضارة الحالية المتقدّمة .

ولكن ثمّة صعوبات قابلتهم، في دراسة التطوّر في العصور القديمة جدّاً، ولا سيّما عصور ما قبل التاريخ، فعمدوا إلى دراسة علم الآثار أو التخمين والافتراض من أجل إثبات نظريتهم , Nicholson) . 1968, p.7)

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر، استكمل الأنثروبولوجيون وضع العناصر الأساسيّة لعلم الأنثروبوجيا الاجتماعية، عندما قام بعضهم بتصنيف المجتمعات البشرية على أسس أبنيتها الاجتماعية، وليس على أسس ثقافاتها فحسب. وهذا ما أدّى إلى تميّز الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن الأنواع الأنثروبولوجية الأخرى، وأصبح موضوعها بالتالي، يختصّ بالعلاقات الاجتماعية وليس بالظواهر الثقافية .

واستناداً إلى ذلك، امتدّ منهج دراسة الأنثروبولوجيا إلى الدراسات الميدانية. واعتبرت الدراسة التي قام بها العالم الانكيزي هادون على منطقة مضائق (تورليس) مع بعثة علمية، نقطة تحوّل أساسية في تاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية، حيث رسّخت أمرين أساسيين:

أولهما: النظر إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية، على أنّها علم يحتاج إلى تخصّص كامل .

وثانيهما: اعتماد الدراسة الميدانية منهجاً رئيسيّاً في هذا العلم .

ومع أنّ مورغانوبواز سبقا هادون في دراسة بعض قبائل الهنود الحمر، وبعض قبائل الأسكيمو، فقد استطاع هادون أن يحدّد أساسيات منهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ويجذب بعض العلماء إلى ميدان هذا العلم الجديد، بعدما تخلّوا عن اختصاصاتهم الأصلية وأصبحوا من أئمّة الأنثروبولوجيا الاجتماعية في القرن العشرين، من أمثال: العالم ريفر الذي كان متخصّصاً في علم النفس، والعالم سليجمان الذي كان متخصّصاً في علم الأمراض. بل أنّ هادون نفسه، تخلّى عن تخصّصه الأصلي في (الحيوانات البحرية) وتحوّل إلى الأنثروبولوجيا الاجتماعية .(لطفي، 1979، ص 96).

وهكذا، مثّل القرن التاسع عشر نشأة الأنثربولوجيا الاجتماعية، وإن كانت صورتها غير ناضجة وتحتاج إلى الكثير من جهود العلماء ولفترة من الوقت ليست قصيرة، حيث بدأت عناصر صورتها تستكمل وتزدهر في نهاية هذا القرن والنصف الأول من القرن العشرين.

3- مرحلة التخصص ق20:

وصلت الأنثروبولوجيا مع بداية القرن العشرين إلى مرحلة التخصّص بدراسة البنى الاجتماعية للمجتمعات، ولا سيّما المجتمعات القديمة، حيث ازدادت الدراسات الميدانية، وفي مقدّمتها الدراسة التي قام بها الأنكليزي رادكيف براون على سكان خليج البنغال، والتي اعتبرت المحاولة الأولى لفحص النظريات الاجتماعية بالعودة إلى مجتمع بدائي. وكذلك دراسة مالينوفسكي لسكان جزر (التروبوبرياند) لمدّة أربع سنوات، واستخدم فيها لغة أهالي هذه الجزر. **فكان بذلك أوّل أنثروبولوجي يتمكّن من فهم حياة الناس وعلاقاتهم الاجتماعية، من خلال تتبّع عاداتهم وتقاليدهم، وتحليل مدلولاتها الاجتماعية .(سنتعرض له بالتفصيل)**

فخلال الربع الأوّل من هذا القرن، عكف الباحثون الأنثروبولوجيون على جمع الوثائق التي يحتاجون إليها من أجل إثبات ظاهرة الاقتباس بين الثقافات المختلفة. ويلاحظ أنّ العامل التاريخي، من وجهة نظر تاريخ الطريقة الأنثروبولوجية، احتلّ مكان الصدارة في دراسة المجتمعات، حتى في المحاولات المبذولة لإثبات ظاهرة الانتشار الثقافي، الناجمة عن الاحتكاك بين الشعوب. ويعود ذلك إلى أنّ هؤلاء الباحثين، كانوا يدركون جيّداً أهميّة البيانات التاريخيّة في فهم العوامل الثقافية الدينامية. (لينتون، 1967، ص 259)

أمّا في الربع الثاني من القرن العشرين، فقد أصبحت للأنثروبولوجيا الاجتماعية فروع مستقلّة تدرّس في الجامعات الأوروبية، ولا سيّما في الجامعات البريطانية .. وانتشر تطبيق منهج الدراسة الميدانية نتيجة لتأثير أبحاث مالينوفسكي الذي بدأ منذ عام 1924، بتدريب الأنثروبولوجيين على القيام بالدراسات الميدانية .

وفي عام 1937، أعاد راد كليف براون تنظيم معهد الأنثروبولوجيا في جامعة أكسفورد، وطوّر مناهجه. وبفضل جهود مالينوسكي وبراون وتلامذتهما من ذوي الخبرة في الدراسات الأنثروبولوجية الميدانية، أجريت دراسات متعدّدة على مجتمعات صغيرة في أفريقيا (دراسة نظم القرابة والطقوس والسياسة)، وتم تأسيس المعهد الدولي الأفريقي في جامعة أكسفورد، والذي أصبحت تصدر عنه فيما بعد مجلّة متخصّصة في علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

وتابعت الأنثروبولوجيا الاجتماعية دراساتها المتقدّمة، في النصف الثاني من القرن العشرين، ممآ أدى إلى اتّساع هذه الدراسات وازدهارها، وبالتالي إلى التقارب بين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية .. وتمّ اعتماد تطبيق المنهج التجريبي بدلاً من المنهج المقارن، حيث يستند كلّ باحث أنثروبولوجي – في تطبيق المنهج التجريبي – إلى نتائج دراسة باحث آخر لمجتمع معيّن، ويقوم بدوره بالتأكّد من صحّة هذه النتائج من خلال قيامه بدراسة مجتمعات أخرى. وبذلك، تصبح الفرضيّات المتفق عليها مبادئاً عامة في نهاية الأمر، أو معارف متداولة في مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية .. وهذا ما عزّز من علم الأنثروبولوجيا في العصر الحديث .

ثالثاُ- أهداف الأنثروبولوجيا الاجتماعية

تحديد نماذج عالية للأبنية الاجتماعية:

إنّ التوصّل إلى نوع من التصنيفات والنماذج للأبنية الاجتماعية، يعدّ أمراً صعباً بالنظر إلى عدم اتّفاق العلماء على هذه النماذج من جهة، ولعدم وجود مصطلحات عالمية لمفاهيم الأنثروبولوجيا الاجتماعية من جهة أخرى. هذا بالإضافة إلى المشكلة الأساسيّة، التي تتمثّل في عدم وجود الدراسات الميدانية الشاملة للمجتمعات الإنسانية جميعها، على الرغم من محاولات الكثير من العلماء الوصول إلى ذلك الهدف .

فالإنسان وحده -من بين المخلوقات – يتمتّع بإمكانية تطوير سلوكه المكتسب ونقله بالتعلّم، وأنّ نظمه ومؤسّساته الاجتماعية، تتّصف بالتنوّع وبدرجة من التعقيد أكبر ممّا تتّصف به الأشكال الاجتماعية لأي نوع آخر من أنواع الحيوان .

ولذلك نجد أنّ المنطلق المنطقي لما يجرى من أبحاث حول المجتمع، هو دراسة أنظمة اجتماعية معيّنة واعتبار كلّ منها وحدة متكاملة. وممّا يسهل المشكلة بعض الشيء، اعتبار الأنظمة كيانات متميّزة عن المجتمعات، إذ يمكّننا ذلك من تجاهل المدى الواسع للاختلافات الفردية في التعبير عن نماذج النظام، ومن التركيز على النماذج نفسها وعلاقاتها المتبادلة .بيد أنّ المشكلة تظلّ معقّدة بما فيه الكفاية، وأوّل مهمّة للباحث هي التحقّق من النماذج وطبيعتها.

إنّ الصورة التي يرسمها باحث النظام الاجتماعي كلّه، يتكوّن من عناصر يجمعها واحدة واحدة، أي من النماذج الداخلة في تركيب النظام، ومن الملاحظات التي تتجمّع لديه عن تكيّفها وعلاقاتها المتبادلة، كما تتكشّف له في أثناء ممارسة الناس الفعلية لها. ولا يستطيع العضو العادي في أي مجتمع، أن يساعد الباحث في هذا العمل، إذ ما من أحد يدرك أنّ النماذج التي تنظّم التفاعلات الاجتماعية، تشكّل نظاماً إلاّ في حالة المجتمعات التي بلغت درجة عالية من التعقيد والتزمّت، كالمجتمعات في الصين وبلاد الإغريق في العصور القديمة، وأوروبا الحديثة. (لينتون، 1964، ص 345-346).

ولمّا كان الإنسان قادراً على التفاهم مع أمثاله بواسطة أشكال اللغة الرمزية والمفاهيم، فهو وحده الذي استطاع أن يوجد أنواعاً لا تحصى من المباني الاجتماعية الأساسية كبنيان الأسرة. وإذا نظرنا إلى حياة الجماعة في أي نوع من أنواع ما دون الإنسان من الكائنات الحيوانية، وجدنا أنّ مبانيها الاجتماعية أكثر رتابة من المباني الإنسانية، وبالتالي يمكن توقّعها لأنّ كل جيل من أجيالها يتعلّم السلوك المشترك بين معاصريه جميعهم، بينما يبني الإنسان على تجارب كلّ من سبقه. (هرسكوفيتز، 1974، ص 32)

وقد أنفق العالم رادكليف براون ثلاثين عاماً في الدراسة، للوصول إلى بعض النماذج العامة للأبنية الاجتماعية. وبفضل جهوده وجهود علماء آخرين، أصبح هناك اتفاق شبه عام على بعض النماذج الأساسية للبناء الاجتماعي، مثال: (العشيرة – القبيلة – الدولة – الأمّة –المجتمع) .

واستطاع هؤلاء العلماء تحديد الأشكال الأسرية الرئيسة، في المجتمعات الإنسانية. ويعدّ ذلك خطوة هامة نحو الوصول إلى القوانين الاجتماعية، التي يترتّب عليها ذلك التنوّع الملحوظ في الأبنية الاجتماعية المختلفة، وما أطلق عليه اصطلاحاً: (الدراسات المورفولوجية).

-تحديد مظاهر التداخل والترابط بين النظم الاجتماعية:

تبدو أهميّة استخدام المنهج الكلّي المتكامل في الدراسات الأنثروبولوجية، في تحقيق ذلك الهدف الذي يتمثّل في تحديد التأثير المتبادل بين النظم الاجتماعية، التي تدخل في نطاق البناء الاجتماعي الواحد. ويهتمّ العلماء اليوم، بهذا الهدف، إذ لا يوافقون على اقتصار الدراسة الأنثروبولوجية على الجانب الوصفي فحسب، وإنّما لا بدّ من التحليل للكشف عن الوظائف الاجتماعية للنظم الاجتماعية، عن طريق تحديد التأثير المتبادل فيما بينها.

وقد عرضت أمثلة كثيرة عن هذا الموضوع، حيث يطلق العالم براون على الدراسة التي ترمي إلى تحقيق ذلك الهدف اصطلاحاً: (الدراسة الفيزيولوجية) تمييزاً لها عن الدراسات الخاصة بالهدف السابق (الدراسات المورفولوجية).

إنّ مشكلة حقيقة الأنظمة الاجتماعية، هي مشكلة فلسفية أكثر منها مشكلة عملية. والمهمّ في الأمر هو أنّ مركّب النماذج الاجتماعية التي تتكيّف بعضها مع بعض تكيّفاً متبادلاً _ وهو ما اصطلح على تسميته بالنظام الاجتماعي – يتطوّر ويعمل بارتباط مستمر مع سائر عناصر الثقافة، وأنّ النماذج يجب أن تتكيّف مع هذا النسق تماماً كما تتكيّف بعضها مع بعض. أمّا المجموع الكلّي للثقافة، فيجب أن يتكيّف بدوره أيضاً، مع البيئة الطبيعية للمجتمع، لأنّ الإنسان قد يطوّر وسائل كثيرة ومتنوّعة للسيطرة على البيئة واستغلالها، ولكنّه لا يستطيع أبداً أن يتحرّر من أثرها .

ولذلك، يمكن القول: إنّ كل نظام اجتماعي، هو جزء من وحدة متناسقة متكاملة، أوسع جدّاً في مداها من النظام نفسه، أمّا العناصر التي تتكوّن منها هذه الوحدة، فهي متشابكة ومتداخلة. ولا يمكن فهم النظام الاجتماعي، إلاّ إذا درس في ضوء علاقته بالوحدة المتناسقة الكبيرة، التي تضمّ عناصر أخرى تظلّ تفرض باستمرار حدوداً على نموّه وعمله. (لينتون، 1964، ص 348)

وبذلك يكون على الباحث – من وجهة النظر الوظيفية -أن يأخذ في الحسبان عاملين أساسيين يلعبان دوراً تبادلياً وفاعلاً في هذا النظام الاجتماعي أو ذاك، وهما: النموذج الذي يعرفه الأفراد ويؤثّر

في سلوكاتهم من جهة، والثقافة التي ينشأ عليه هؤلاء الأفراد، والتي تعنى بتلبية الحاجات الكليّة للمجتمع من جهة أخرى، وذلك لأنّ الأنظمة الاجتماعية لا يمكن أن تؤدّي وظيفتها، إلاّ كجزء من المجموع الكلّي للثقافة .

3-تحديد عمليات التغيير الاجتماعي:

تهدف الدراسات الأنثروبولوجية الاجتماعية، إلى تحديد خصائص التغيير الاجتماعي وعملياته، والتي تحدث في الأبنية الاجتماعية، سواء ذات المعدّل السريع في التغيير أو المعدّل المتوسّط أو المعدّل البطيء .

وقد لا حظ براون أنّ الدراسات الخاصة بذلك الهدف، اهتمّت بدراسة أثر الحروب الاستعمارية على النظام القبائلي في أفريقيا وآسيا. ولكنّ التغيير الاجتماعي عملية معقّدة، متعدّدة الجوانب ومختلفة العوامل. ولذلك، فهي أعمق في دراستها من حيث الجمع بين عناصر حضارتين مختلفتين. فعملية التغيير أو التطوّر، تستلزم ظهور أشكال جديدة من الأنماط والأبنية الاجتماعية، كما تستلزم أيضاً، الانتقال من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المركّبة. (وصفي، ع، 1995، ص 174)

فلكلّ مجتمع طريقته الخاصة في الحياة، والتي يطلق عليها العلماء الأنثروبولوجيون

مصطلح " الثقافة ". ويعتبر مفهوم الثقافة من أهمّ الأدوات التي يتعامل معها الباحث الأنثروبولوجي. وكما هي الحال في الأبحاث العلمية الأخرى، تنحصر الخطوة الأولى في جمع الحقائق عن الأنماط الثقافية المختلفة، ويتطلّب هذا من العالم الأثنولوجي، القيام بأبحاث ميدانية في أماكن نائية، وإلى العمل في أنوع مختلفة من المجتمعات. (لينتون، ر، 1986، ص 25)

وبما أنّ الكائنات البشرية تعيش في تجمّعات (مجتمعات) وتطوّر طرقها الخاصة في الحياة بما يتلاءم مع أوضاعها الخاصة والعامة، فإنّ للثقافة هنا دوراً كبيراً في عمليات التغيير الاجتماعي، الفكري والسلوكي .

ومن هنا يتعيّن على الدراسات الأنثروبولوجية أن تحدّد عمليات التغيير الاجتماعي، بطريقة الكشف عن الأنماط والأبنية الاجتماعية الجديدة، وكذلك تحديد كيفيّة تطوّر الظواهر الاجتماعية البسيطة، إلى ظواهر اجتماعية مركّبة.. وهذا يتطلّب الدراسات الميدانية المركّزة، والمعمّقة.

2-الأنتروبولوجيا الثقافية:

الأنثروبولوجيا الثقافية (بشقيها الاجتماعي والثقافي): وهي تهتم بدراسة منتجات الإنسان الثقافية، على اعتبار أنه نوع يتميز عن بقية الأنواع الحيوانية بالثقافة، وهنا يمكن الحديث عن تيارين أساسيين هما: الأنثروبولوجيا الاجتماعية والأنثروبولوجيا الثقافية، الأولى تهتم بدراسة المجتمعات البسيطة الصغيرة التي يمكن فيها فهم دراسة العلاقة بين النظم الاجتماعية جميعاً، لذلك يدرس هذا التيار المجتمعات الأولية صغيرة الحجم ذات النسيج الاجتماعي المحدود والمتكامل، والذي يمتاز ببساطة الفنون والآلية الاقتصادية وقلة التخصص في الوظائف الاجتماعية، وقد ساد هذا الاتجاه في إنكلترا بشكل خاص.

أما الأنثروبولوجيا الثقافية: فهي تهتم بشكل خاص بالسلوك التقليدي للبشر في السياق الاجتماعي، حيث تدرس أنساق الحكم والسلوك لدى الجماعات، بدءًا من المجتمعات الأولية ذات التكنولوجيا البسيطة، وصولاً إلى المجتمعات الأكثر تنظيماً. فإذا كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد نظرت للإنسان الشامل من خلال نتاجاته المادية، فإن نظيرتها الثقافية نظرت للإنسان انطلاقاً من تصوراته، وإذا كانت الأنثروبولوجيا الاجتماعية تركز على العنصر البشري – كالعلاقات الشخصية والعلاقات القائمة بين البشر داخل الجماعات – فإن نظيرتها الثقافية تركز على الإنجاز الخلاّق والأهداف والأفكار التي يتم توضيحها ونقلها من جيل لآخر. وقد ساد هذا التيار في الولايات المتحدة الأميركية.

وقد كان لهذا التخصص تفرعات واسعة حيث تندرج تحته مجموعة من المباحث الأساسية مثل: علم_اللغويات_الأنثروبولوجية: التي تقوم بدراسة اللغاتوتاريخها دراسة بحثية وصفية بغية تحديد أصول اللغات الإنسانية.

أمّا الأنثروبولوجيا الاجتماعية: التي تنقسم بدورها إلى عدة فروع سياسية وقانونية واقتصادية ودينية ... الخ.

ثم هناك علم الآثار،وما قبل التاريخ: الذي يحاول دراسة أسلوب تطور تفكير الإنسان القديم من خلال مخلفاته الأثرية المختلفة وطرق تطويرها.

ومن منظور المدرسة الأوروبية تقسم الأنثروبولوجيا، كتخصص اجتماعي، إلى فرعين أساسين هما "الأثنوغرافية" و"الأثنولوجيا"

الإثنوغرافية: كلمة تعود إلى المؤرخ الألماني (ب . ج . نيبور) عام 1810، وتعني الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة أو مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة. أما الإثنولوجيا: فهي كلمة ظهرت سنة 1787 على يد عالم الأخلاق (دوشوفان) وتهتم بالدراسة التحليلية والمقارنة للمادة الإثنوغرافية، بهدف الوصول إلى تصورات نظرية وتعميمات بصدد مختلف النظم الاجتماعية الإنسانية. وبهذا تكون الإثنولوجيا هي نظرية الإثنوغرافية، فإذا كانت الإثنوغرافية مثل "التاريخ" تعتمد على الاستقصاء وصياغة المواد، فإن الإثنولوجيا مثل "علم الاجتماع " تحلل وتبرز النماذج المقامة على أساس الوثائق الإثنوغرافية، هادفة القيام بتركيب ثلاثي: الأول بيئي يقارن مكانياً بين الجماعات السكانية المتجاورة. والثاني تاريخي زماني يضع الحوادث الرئيسية الخاصة بجماعة معينة في ديمومة الزمان. والثالث منهجيّ يتوصل من خلاله إلى تفسير نمط من التقنيات والمؤسسات أو المواقف المتعلقة بجماعة ما.

فتكون الأنثروبولوجيا وفقاً لذلك، هي العلم الذي يقود إلى درجة أعلى من التعميم، لأنها تطمح إلى تحقيق المعرفة الشاملة عن الإنسان منذ بداياته حتى الوقت الحالي، وهكذا تغدو علاقة الإثنوغرافية بالإثنولوجيا هي نفس العلاقة بين الإثنولوجيا والأنثروبولوجيا، حيث ترتبط الأولى بالطابع الميداني التحليلي، والثانية بالطابع النظري التوثيقي التركيبي، أما الثالثة فهي أعم، تشمل الاثنين معاً لتقدم نظرة شاملة وعمومية، بحيث لا يمكننا اليوم التحدث عن بحث أنثروبولوجي بالمعنى الأكاديمي دون أن يكون قد مرّ بتلك المراحل الثلاث.

مدارس الأنثروبولوجيا:

وفق الترتيب التاريخي يمكننا التحدث عن المدارس التالية:

1-المدرسة التطورية:

وهي أقدم وأول المدارس الأنثروبولوجية، يغلب على روادها الطابع النظري المحض، الذي لا يرافقه البحث الميداني المطلوب في العمل الأنثروبولوجي. وتعود نشأة هذه المدرسة إلى كتابات مفكري القرن الثامن عشر، لا سيما كتاب مونتسيكو (روح الشرائع)، الذي يعتبر أول بحث أنثروبولوجي يقوم على

أساس المقارنة بين الشعوب بحسب مواقعها الجغرافية والمناخية المختلفة، إذ يؤكد على فكرة أن التغيير الذي لا يأخذ بعين الاعتبار عادات وتقاليد الجماعة الموروثة، لا بد وأن يفشل، وأن الإصلاح لا يكون إلا بغرس عادات وتقاليد جديدة يوجهها المصلحون ويعملون على نشوئها وتطورها. ويمكن التحدث أيضاً عن دراسات – جان جاك روسو – التي شكلت ركيزة هامة في تاريخ الأنثروبولوجيا، نظراً لما تتضمنه من تناول للمادة الإثنوغرافية عن الشعوب المكتشفة في إطار المقارنة بينها وبين المجتمعات الأوروبية، حيث استطاع أن يخلص نفسه من التحيز الثقافي لمجتمعه، منتقداً قيمه ومشيداً بطرق حياة الشعوب في المجتمعات الأخرى.

وفي القرن التاسع عشر ظهرت الأنثروبولوجيا كعلم تخصصي أكثر وضوحاً، مع كتّاب أمثال دالمبير، وكوندروسه، وتورغو، ثم سان سيمون، وتلميذه أوجست كونت. ففي مؤلفات هؤلاء نجد الأسس النظرية لعلم الأنثروبولوجيا كما صيغت فيما بعد، بحيث يمكن اعتبارهم بمثابة الآباء المؤسسين لأول مفهوم نظري للأنثروبولوجيا الذي تبنته المدرسة التطورية.

أما المدرسة التطورية ذاتها، فقد ساهم في تكونها مجموعة كبيرة من الباحثين الذين نشروا الكتب الإثنولوجية تباعاً في كل من فرنسا وألمانيا وإنكلترا وأميركا، منها كتاب (المدينة القديمة) للفرنسي فوستيل دو كولين سنة 1864، ثم كتاب الإنكليزي إدوارد تايلور (الثقافة البدائية) عام 1871، ثم كتاب (المجتمع القديم) للأميركي لويس مورجان سنة 1877، ثم كتاب (أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة) للألماني فريدريك أنجلز سنة 1884، وأخيراً وليس آخراً نذكر الكتاب الشهير (الغصن الذهبي) للإنكليزي جيمس فريزر الذي ظهر جزءه الأول في العام 1890.

جميع تلك المؤلفات تعكس اهتماما مركّزاً حول اتجاه فكري معين ساد إبان هذه الفترة ودفع بالأنثروبولوجيا إلى التركيز على الدراسات الإثنولوجية، حيث نشأ مفهوم (التطورية الثقافية) كمرادف لمفهوم (التطورية الطبيعية) التي جاء بها داروين في كتابه الشهير (أصل الأنواع) سنة 1859، وعليه فإن الفكرة الأساسية لتلك المدرسة تقوم على مفهوم التطور الثقافي، على أساس أنه لا يمكن فهم العقل الإنساني إلا بربطة بالتاريخ، الذي من خلاله فقط يمكن فهم الحياة الإنسانية والوصول إلى القوانين التي تحكم مسارها، فتاريخ البشر واحد، بسبب وحدة الفكر الإنساني، وقد عرّف تايلور الثقافة قائلاً: "الثقافة أو الحضارة، موضوعة في معناها الإثنولوجي الأكثر اتساعاً، هي الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وكل القدرات والعادات الأخرى

التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع". وبالتالي تعبر الثقافة وفق هذا التعريف عن كلية الحياة الاجتماعية، وتتميز ببعدها الجماعي، وهي مكتسبةولا تتصل بالوراثة البيولوجية، كما أن اكتسابها غالباً ما يتصل ببعد لاواع" . أما الفروقات الثقافية، فهي وليدة ظروف تاريخية معينة، وعليه تكوّن المجتمعات وجودا متجانسا ومتواصلا مؤلفا من طبقات تطورية وأقسام متوازية يسير فيها التطور حتماً وفق خط مستقيم، لا بد على جميع المجتمعات أن تمر به. فالتاريخ يسير في مسار خطّي، وله شكل موحد في نشأته وتجاربه وتقدمه، وهو ينتقل وفق درجات متتالية للتطور بحيث تكون كل درجة وليدة سابقتها، ومساهمة في تشكيل تاريخ ما بعدها، ويفترض هذا بالطبع وجود وحدة سيكولوجية بين جميع البشر على اختلاف ثقافاتهم، وقد تحدث مورجان قائلاً: "يتحدد الذكاء بالاختراع والاكتشاف وتطور القانون الاجتماعي ومفهوم الأسرة والملكية، ويكون التطور بمقدار عملية إنتاج أو تطور إنتاج شروط حياة الإنسان المادية والذهنية."

وطالما أن الفكرة المحورية التي انطلقت منها هذه المدرسة هي فكرة التطور الثقافي، فمن الطبيعي أن تقول بحتمية نهاية العصور القديمة لصالح العصور الأحدث، فهناك قطيعة بين الثقافات الأولية، والثقافات العلمية. والثقافات البدائية تدرك نظرياً بالتحليل على اعتبارها بقايا أو عقلنه ميتة، وبالتالي يجب أن تختفي من الحياة العملية والممارسة، وذلك لارتباطها – وفق تايلور – مع المراحل المتدنية من تاريخ البشر العقلي". تصوّر قاد بدورة إلى إيديولوجيا قوامها مفهوم "التماثل" الذي نادت به وروجت له تلك المدرسة، وهو مصطلح يعني ضرورة أن تماثل الشعوب البدائية، أو الأقل تحضراً، الشعوب المتمدنة والحضارية، ويكون ذلك من خلال نشر لواء المدنية لدى تلك الشعوب، من خلال القضاء على إرثها "المتخلف" وحملها على الرقيّ المدنيّ الذي يوحّد مفهوم التطور البشريّ.

ومن جهة أخرى، يعلق رواد تلك المدرسة أهمية كبيرة على ما كان يسميه تايلور "الرواسب الاجتماعية" التي تقارن بالأعضاء النافلة عند بعض الكائنات الحية، أو الحروف الخرساء في بعض الكلمات، فهذه الرواسب لا تلعب أي دور أو وظيفة أساسية، وإن كان لها وظيفة فهي ثانوية ومختلفة كل الاختلاف عن الوظيفة الأساسية، وهي رواسب لا تعدو أن تكون بقايا زمن منصرم، وبالتالي فإنها تقدّم الدليل على أن هذه السلسلة من المراحل الاجتماعية كانت في الواقع سلسلة تاريخية، وإذا ما تمكنا من تحديد النسق الذي تم بموجبه تتابع تلك المراحل، يبقى علينا أن نسعى إلى تحديد المؤثرات التي ولدّت الانتقال من مرحلة إلى أخرى، فهذا مورغان يدّعي أن النظام التصنيفي لقاموس ألفاظ

القربى (التي تطلق لفظ أبي على من هو من جيل أبيه، وكذلك كلمة أمي على من هم من جيل أمه) تدل على أن أعضاء تلك الجماعات الغابرة كانوا قد عاشوا قبل ذلك في حالة من الاختلاط الجنسي، أو حالة شبيهة بها، كذلك أدخل مكلينان – وهو من رواد تلك المدرسة – مفاهيم الزواج والطقوس المرافقة له، كرواسب تشير إلى مرحلة مبكرة من التطور، وهي نظرة كان قد عبّر عنها الفيلسوف الاجتماعي (هربرت سبنسر) الذي كان أول من أدخل التصور الداروينى على المجتمع – مع فارق بسيط هو تأكيده على أن التطور الاجتماعي ناتج عن وراثة قدرات مكتسبة لا عن الانتخاب الطبيعي -. كذلك تحدث كونت في قانونه عن الحالات الثلاث عن تحولات البشرية التطوري (الحالة اللاهوتية، فالحالة الميتافيزيقية، فالحالة الوضعية) التي تصاحب كل المجتمعات البشرية، وهو ما يتقاطع إلى حد ما مع ما عبّر عنه مورغان وأنجلز بالمراحل الثلاث للتطور البشري (الوحشية، فالبربرية، فالحضارة) وكذلك فريزر عندما قسم تاريخ الفكر وفق ثلاث مراحل (السحر – الدين – العلم). وبمثل هذا المنهج الداروينى، سعى باحثو تلك الفترة إلى دراسة كافة مفاهيم المجتمع الإنساني المختلفة من دين وفن وعلم وأدب وسياسة....

لقد وقعت هذه المدرسة في الواقع – كأي نظرية مؤسسة – في مجموعة من الأخطاء جعلت الكثير من الباحثين ينتقدونها بشدة، وقد وجه إليها الكثير من التحفظات والانتقادات، إذ وضع موضع الشك مبدؤها القائل بالتقدم وفق المسار الخطي وحيد الاتجاه من المجتمع البدائي البسيط، إلى المجتمع العصري المعقّد، دون الأخذ بعين الاعتبار عوامل الزمان والمكان الهامة جداً في دراسة ديناميكية الثقافة، فتطور الإنسان ليس مسألة علم حياة وحسب، بل هو ترابط خصائص الإنسان الفيزيائية والثقافية حيث تؤثر كل واحدة بالأخرى، والمنظور الإنساني لا يكف عن كونه جدلا مستمرا بين البيولوجيا والثقافة، وقد تحطمت في الواقع فيما بعد فكرة الثقافة وحيدة الاتجاه، على أيدي أقطاب المدرسة الأميركية في الأنثروبولوجيا الثقافية أمثال "بنديكت" و"هرسكوفيتز" فتساءل هرسكوفيتز قائلاً: "كيف يمكن إطلاق أحكام قيم على هذه الثقافة أو تلك ما دامت هذه الأحكام مؤسسة على التجربة، وما دام كل فرد يؤول التجربة في حدود تثقيفه الخاص."

وقد كانت المشكلة الأساسية هي اعتماد التطوريين على مزيج من المعلومات الخاطئة وغير الدقيقة التي جمعها الرحالة والمبشرونوالتجار، وبالتالي كان اعتمادهم بشكل أساسي على معارف نقلوها عن أشخاص غير مختصين، فكان تحليلهم يعتمد على التاريخ الظنّي والتخميني بحيث لم يستطيعوا تقديم تفسير واضح عن فكرة التطور الموازي للثقافة، فكيف يمكن تفسير التطور غير

المتوازي بين الشعوب والثقافات؟ وإذا افترضنا بصحة الفكرة القائلة بوحدة التكوين الفيزيولوجي السيكولوجي للإنسان، فهل يمكن القول أن مجتمع الاسكيمو قد انتقل من مرحلة الصيد إلى الزراعة المنظمة على النحو الذي نجده في مصر والشرق الأوسط؟ إن الأساس الإثنولوجي لهذه المدرسة لم يكن متيناً، ولم يجمعه أثنولوجيون مختصون

وقد حاول أصحاب مدرسة ما يسمى (التطورية الجديدة) إعادة إحياء المدرسة الكلاسيكية بتصورات جديدة، من خلال مجموعة من الإثنولوجيين بعد الحرب العالمية الثانية يتقدمهم (ليزي هوايت) و(جوليان ستيوارد). وعلى الرغم من أن تساؤلاتهم جاءت متشابهة إلى حد كبير مع الخطوط العريضة والأساسية لأفكار سابقيهم، إلا أنهم أضافوا إليها بعض التعديلات المتعلقة بميكانيزمات التغيير وآلياته، فهوايت مثلاً: تحدث عن مراحل تطور الثقافة كما لو كانت مراحل كلية عامة تميزها الخبرة الإنسانية المتراكمة، فيرى أن الثقافة تنمو وترقى وفقاً لازدياد كمية الطاقة وفق المعادلة التالية: P=E*T حيثE هي الطاقة وT التكنولوجيا وP النظم الأساسية للثقافة، وعليه فإن المضمون التكنولوجي في ثقافة ما، هو الذي يحدد الكيان الاجتماعي والاتجاهات التكنولوجية لها، ويستدل هوايت أنه في المجتمعات التي يستخدم أفرادها قدراً محدوداً من الطاقة، تنشأ عندهم نظم سياسية ودينية واقتصادية أقل وأكثر بساطة من تلك المجتمعات التي تتنوع وتكثر فيها استخدامات الطاقة. وقد مهدت تلك الأبحاث إلى ظهور تخصص جديد في الإثنولوجيا يتناول العلاقة المتبادلة بين البيئة والثقافة عرف باسم (الإيكولوجيا الثقافية). ومع ذلك لم تخل هذه المحاولة من انتقاد لا سيما من قطب المدرسة البنيوية (ليفي شتراوس) الذي انتقد نظرية هوايت قائلاً: "يبدو أن التطورية الجديدة التي ذهب إليها هوايت عاجزة هي الأخرى عن تذليل الصعوبات التي تعترض التطورية الكلاسيكية عموماً، فإذا كان المعيار الضابط الذي اقترحه هو معدل الطاقة المتوفرة للفرد الواحد لكل مجتمع، يستجيب لمثال من المثل قد يبدو مقبولاً في بعض مراحل الحضارة الغربية وفي عدد من جوانبها، فإن المرء لا يرى كيف يمكن تطبيق هذا العامل المحدد على الأغلبية الساحقة من المجتمعات البشرية، حيث تبدو هذه المقولة المقترحة لا تتخذ فوق ذلك أية دلالة على الإطلاق، فالأسكيمو يعتبرون من كبار التقنيين، ومع ذلك هم من صغار الاجتماعيين، على العكس من سكان أستراليا الأصليين الذين يعتبرون من كبار الاجتماعيين وصغار التقنيين."

في ختام حديثنا المقتضب عن هذه المدرسة وبالرغم مما يمكن أن يؤخذ عليها، إلا أنها استطاعت في المقابل أن تقدم مفهومات هامة ساهمت ودعمت فيما بعد إرساء أسس الأنثروبولوجيا،

فيعتبر باحثين أمثال مكلينان، وتايلور، ومورجان، من أوائل من نظروا إلى دراسة المجتمعات الأولية كموضوع جدي يمكن للعلماء أن يقصروا عليه اهتمامهم، كما كانوا شديدي الرغبة بتخليص دراسة النظم الاجتماعية من التفكير النظري، رغم عدم ابتعاد معظمهم عن ذلك النمط من التفكير. كما أسهموا في إدخال الكثير من الدراسات والموضوعات إلى المجال العام للأنثروبولوجيا، إدخال الدراسة المقارنة لنظم القرابة على يد مورجان، ودور النظام الأمومي والطوطمية على يد ماكلينان، وعمومية المعتقدات السحرية من خلال جمع العديد من الأمثلة عن النظام الإلهي والمقدس على يد فريزر، وعمومية المعتقدات الحيوية إلى المصطلحات الأنثروبولوجية على يد تايلور.

2- المدرسة الانتشارية:

على خلاف التطورية، انطلقت هذه المدرسة من فكرة أن الثقافة كثيراً ما تكون مستعارة، حيث تنشأ في مركز واحد أساسي، تنتقل بعدها إلى المراكز الأخرى عبر مجموعة من العوامل، ويضيف أصحاب هذه المدرسة، أنه إذا ما دققنا في المسألة وجدنا أنه لم يكن هناك إلا عدد محدود من المراكز الهامة التي عملت على تنمية الثقافة ونشرها، كما أن المواصفات المنتشرة قد تخضع خلال عملية الاستعارة والاستيعاب إلى تغييرات وتبدلات كثيرة، وبالتالي فإن مفهوم الصدفة التاريخي في انتشار المساهمات الحضارية يلعب دوراً فعّالاً ومواجهاً لمفهوم الامتداد الطبيعي والحتمي للمؤسسات الاجتماعية المرافق لأفكار التطوريين.

وهناك ثلاث وجهات أساسية عبرت عن تلك المدرسة:

أولها إنكليزية: ومؤسسها هو (غرافتون إليوت سميث) عالم التشريح الشهير، الذي انكب خلال إحدى فترات حياته على دراسة المومياء المصرية، وهذا قاده إلى الإقامة في مصر حيث أدهشته حضارتها، فأخذ يلاحظ أن الثقافة المصرية القديمة تضم عناصر كثيرة يبدو أن لها ما يوازيها في ثقافات بقاع أخرى من العالم، فقلبت نظريته الاعتبارات التقليدية للزمان والمكان، فلم يقتصر على القول بأن العناصر الثقافية المتشابهة في حوض البحر المتوسط، وإفريقيا، والشرق الأدنى، والهند ذات أصل مصري وحسب، بل ذهب للقول أن العناصر المماثلة في ثقافات إندونيسية، وبولينيزيا، والأمريكيتين، تتبع نفس المصدر أيضاً، فالحضارة المصرية بدأت على ضفاف النيل قبل 5 آلاف عام، وبعد أن بدأت الاتصالات بين الجماعات والشعوب، انتقلت بعض مظاهر تلك الحضارة إلى بقية العالم. بذلك يجعل سميث من الاقتباس الوسيلة الوحيدة تقريباً التي يمكن من خلالها أن تتم عملية التغير الثقافي، وهذا يعني أن مقدرة الإنسان على الاختراع معدومة تقريباً، وينجم عن ذلك

رفض فكرة تعدد الأصول. ويتوقف الكثير من براهين سميث على تأويل المعلومات بطريقة المقارنة مع المركز، كمثال نجده ينطلق من مبدأ بناء الأهرامات، متى يكون الأهرام أهراما حقاً بالمعنى الحصري؟ هل الهرم المستخدم كقاعدة تبنى فوق المعبد، كما هو الحال في المكسيك، هو عنصر ثقافي مماثل للمبنى الهرمي الذي أنشئ كنصب لملك متوفى وخصص لكي يضم رفاته للأبد؟ وإذا افترضنا وحدة أصل جميع الأهرامات، فإن هذه الفرضية ستطبق على حالات أصغر فأصغر إلى الحد الذي تعتبر معه المصاطب الحجرية، والتلول الأرضية، في وادي الأوهايو، هي بقايا أو أشكالاً هامشية من الأهرامات. إن تلك النظرة المتطرفة السطحية التي تهمل عناصر المكان والزمان، وتلغي قدرات الإنسان المبدعة جاعلة من الاقتباس المبدأ الوحيد للتغيير الثقافي، ساهمت في أفول تلك النظرية بحيث لم تتعدَ إنكلترا موطن منشئها.

أما الوجهة الثانية فهي ألمانية نمساوية: وهي نظرة أكثر عمقاً من التي سبقتها، ومن أبرز مؤسسيها (وولهم شميدث)و(فريتر جرايبنور)، وقد رفضوا فكرة المنشأ الواحد للحضارة، وافترضوا وجود عدة مراكز حضارية أساسية في العالم، نشأ عن التقائها نوع من الدوائر الثقافية حيث حصلت بعض عمليات الانصهار والتشكيلات المختلفة.

أما وجهة النظر الثالثة فهي أميركية: عبر عنها (فرانز بواس) الذي أكد أن المسألة الأساسية التي يجب أن تعالج في دراسة الثقافة ليست حادثة الاحتكاك الثقافي بين شيئين، بقدر ما هي معرفة نتائج هذا الاحتكاك الديناميكية المؤدية للتغير الثقافي، فاقتصرت تلك النظرة بالتأكيد على صفة الوقائع الدينامية للثقافة، أكثر من إعادة تركيبها تركيباً وصفياً، وبذلك رفض هذا الاتجاه الزعم بعدم إمكانية التطور المستقل، وبأن الناس بطبيعتهم غير مبتكرين، إذ يؤكد بواس على أن تسجيل العناصر المتماثلة في ثقافات متباينة لا يمكن له أن يشكل بحد ذاته برهاناً مناسباً عن الاحتكاك التاريخي، بل يجب أن تتضمن التشابهات عناصر متماثلة مرتبطة فيما بينها بصورة متماثلة لكي تعتبر دليلاً على الانتشار، زد على ذلك أن هذا يجب أن يكون ضمن منطقة محدودة فقط، حيث لا يصعب افتراض قيام الاتصال بين المقتبسين والمقتبس عنهم. لذلك أكد هذا الاتجاه على ضرورة دراسة الثقافات اللاكتابية، وإتباع طرق البحث الميداني ذي المعايير الدقيقة، وذلك من وجهة نظر أعضاء الجماعة المدروسة، لا من وجهة نظر الإثنوغرافي بحيث شجع على دراسة اللغات الوطنية واستعمالها بالبحث، وبهذا الاتجاه حصل دفع بخصوص أهمية الدراسة الميدانية للأنثروبولوجيا دفعاً جديداً. كما دفع البحث الأنثروبولوجي إلى تأكيد دراسة المجتمعات الأولية لذاتها، لا كما نراها نحن، وهذا

شجع على ظهور اتجاه جديد في الأنثروبولوجيا قائم على إدخال الآليات النفسية في الدراسات الأنثروبولوجية ممثلاً بالمدرسة التاريخية النفسية.

3-المدرسة التاريخية النفسية:

جاءت كرد فعل على المدرسة الانتشارية والوظيفية، فانطلقت من مبدأ إمكانية فهم الثقافة عن طريق التاريخ إلى جانب الاستعانة ببعض مفاهيم علم النفس، وبشكل خاص تقنيات التحليل النفسي، فوسعت (روث بيندكت) – وهي من رواد هذه المدرسة – المفهوم التاريخي بتطبيق مبادئ علم النفس، بحيث غدت أي سمة من السمات الثقافية تضم مزيجاً عن النشاط السيكولوجي والثقافي بالنسبة لعينة معينة من الجماعات. فالتاريخ عند بينديكت لا يكفي وحده لتفسير الثقافة، لكون الثقافة مسألة معقدة تجمع بين التجربة التي اكتسبت عبر الزمن، بالإضافة إلى التجارب والمكتسبات النفسية.وربما كان من أهم الموضوعات التي ركز عليها أصحاب تلك المدرسة، هي دراسة التميز بين الجماعات والثقافات تبعاً للخصائص النفسية السائدة فيها، وظهر نتيجة لذلك عدة دراسات عالجت موضوع الطابع القومي للشخصية التي تهدف إلى تحليل وتفسير المقومات النفسية الرئيسة التي يتميز بها شعب دون آخر، أو ثقافة دون أخرى، ومن أهم الممارسات التطبيقية في هذا المجال كانت دراسة بنديكت في العام 1946 بعنوان (زهرة الكيزتنم والسيف)، وهي تمثل دراسة للشخصية اليابانية، وقد كان لهذه الدراسة أهمية كبيرة في بلورة السياسة الأميركية نحو استسلام الجنود اليابانيون في نهاية الحرب العالمية الثانية في المحيط الهادي، فبناء على ما أوضحته الدراسة عن أهمية شخصية الإمبراطور كرمز مقدس في العقلية اليابانية، واحترام الجنود الشديد للسلطة الحاكمة في شخص الإمبراطور، أبقت الحكومة الأميركية على مركز الإمبراطور وطلبت منه أن يصدر تعليمات لجنوده بالاستسلام، وهو ما تم وبه حقن الكثير من الدماء.

كما يرجع الفضل لهذه المدرسة في طرح فكرة تعدد الثقافات، وكسر فكرة الاحتكار الثقافي لشعب من الشعوب، أو مركز من المراكز، وعن طريقها نشأ مفهوم "النسبية الثقافية"، الذي لاقى رواجاً وقبولاً واسعاً في عصر سيطرت فيه نسبية أينشتاين في الفيزياء وجذبت الاهتمام النظري والاستخدام العملي في العلوم الطبيعية. وهذا ساعد على ترسيخ الأساس الميداني البحثي المباشر للجماعات المدروسة التي عبرت عنه بشكل واضح المدرسة الوظيفية.

4-المدرسة البنائية الوظيفية:

تعود جذور هذه المدرسة لعالم الاجتماع الفرنسي (إميل دوركهايم) الذي أكد على الدور الوظيفي لبعض المفاهيم الاجتماعية، كالانتحار والدين. كما وقف موقفاً معارضاً للنظرية التطورية الثقافية، التي تنظر للثقافة باعتبارها نموّا تطوريا واحدا يشمل البشرية بأسرها. فتبنى ما يسمى "النسبية الثقافية" مؤكداً على أنه ما من دافع للاعتقاد أن مختلف أنواع الشعوب تتبع الاتجاه ذاته، فمنها من يتخذ لنفسه سبل أكثر تنوعاً، وبالتالي علينا أن نرسم التطور الإنساني لا على شكل خط تتنضد على مساره المجتمعات بعضها خلف بعض كما لو كان الأكثر تقدماً ليس إلا تكملة للأكثر بدائية. بل على هيئة شجرة متعددة أغصانها ومتفرعة، ويرى أنه ما من دليل على أن حضارة الغد لن تكون إلا امتداداً للحضارة التي يُظن اليوم أنها الأرقى، فمن المحتمل، على العكس من ذلك، أن يكون بناتها شعوباً نعتبرها أدنى من غيرها. وبالتالي لا يوجد تصور موحد لثقافة واحدة، بل تنوعات ثقافية حضارية تفرضها النماذج الجمعية (الوظيفية) الخاصة بكل جماعة والمتعالية على الأفراد.

وعبر هذه المدرسة انتقل الأنثروبولوجي من المنظر إلى الباحث الميداني فأصبح الباحث والمنظر شخصا واحدا، وغدا الباحث يحيا قيم الجماعة المدروسة ويعيش عاداتها وتقاليدها ويحترمها بغير تحيز. هذه كانت حال مؤسسي تلك المدرسة أمثال (مالينوفسكي) و(راد كليف براون) اللذين رفضا منطلق المدرسة التطورية القائم على الدراسات النظرية الإثنولوجية دون الميدانية، فأخذوا مثلاً على فريزر – واضع الأحد عشر مجلداً عن الطوطمية – حينما أجاب عن سؤال مفاده هل ذهب إلى المتوحشين؟ فأجاب (لقد جنبني الله ذلك). وعلى عكس هذا الموقف، ركزت الوظيفية على دراسة الثقافات كل على حدة في وقتهاوزمانها الحالي، فرفضت المفهوم التاريخي، الموجود في المدرسة التاريخية، والسبب من وجهة نظرهم أن العلم لا يهتم بتاريخ الظاهرة التي يبحثها، قدر تركيزه على الكشف عن العلاقات القائمة بالفعل بين عناصر تلك الظاهرة ككل وعلاقتها بغيرها من الظواهر الأخرى، ما يؤدي في النهاية إلى الوصول للقوانين التي تحكم الظاهرة المدروسة من ناحية تكوينها وأدائها لوظيفتها. فالعنصر الثقافي لا يمكن فهمه عن طريق إعادة تكوين نشأته أو انتشاره، بل من خلال وظيفته العملية الآنية، وعليه يترتب دراسة ثقافات الشعوب كل على حدة، في إطار وضعها الحالي لا كما كانت عليه. بذلك اتسمت هذه المدرسة بالاتجاه اللاتاريخي، اللاتطوري، فالمجتمعات عبارة عن أنظمة طبيعية كل أجزاءها مترابطة العلاقات فيما بينها، كما أن كل جزء يقوم بوظيفته داخل شبكة متراصة من العلاقات التي لا بد منها للحفاظ على الكل الاجتماعي، وهذه الحياة

الاجتماعية يمكن أن تصاغ بلغة قوانين علمية تسمح باستباق الأحداث وتداركها. حيث يقول براون: "إن مفهوم الوظيفية في تطبيقه على المجتمعات البشرية، مبني على التماثل القائم بين الحياة الاجتماعية والعضوية، والوظيفة هي ما يقدمه نشاط جزئي من مساهمة في النشاط الكلي، وبالتالي فإن وظيفة العرف المجتمعي المعين، تحدد في مساهماته التي يقدمها للحياة المجتمعية بأسرها". كما يصف مالينوفسكي الوظيفية بأنها: "تهدف إلى تفسير الوقائع الأنثروبولوجية في جميع مستويات تطورها بالوظيفة التي تؤديها، والدور الذي تلعبه في منظومة الثقافة بأكملها، وكيفية ارتباطها ببعضها داخل المنظومة، وكيفية ارتباط هذه المنظومة بالمحيط الطبيعي."

ومن جهة أخرى، تؤكد الوظيفية على مفهوم "البناء الاجتماعي"، الذي وصفه براون بأنه يشتمل على ثلاث مجموعات من الظواهر الاجتماعية هي:

- الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لفترة معينة من الزمن.
- كل العلاقات الاجتماعية في المجتمعات الأولية.
- ظواهر التنوع بين أفراد وجماعات ما حيث تحدد تلك الظواهر الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الجماعات والجماعات في المجتمع الواحد.

كما عرفه-**البناء**- (إيفانز بريتشارد) بأنه الجماعات الاجتماعية المستمرة في الوجود لوقت كاف بحيث تستطيع الاحتفاظ بكيانها كجماعات، رغم التغييرات التي تحدث للأفراد الذين يكونون تلك الجماعات". ويمكننا تقسيم البناء الاجتماعي العام إلى مجموعة من الأنساق الفرعية التي تتجلى فيها مجموعة من النظم.

ومن المتفق عليه حالياً بين الأنثروبولوجيين الاجتماعيين، أن بنية البناء الاجتماعي تتألف من أربعة أنساق أساسية هي: النسق الاقتصادي (نظام التبادل – نظم الملكية – نظم تقسيم العمل). والنسق السياسي (نظم الزعامة – نظم السلطة – نظم الجزاء – نظم القانون). والنسق القرابي (نظم الميراث – نظم الزواجوالمصاهرة – نظم القرابة). والنسق الديني (نظم السحر والعرافة – نظم الدين والمعتقدات). حيث ركزت الوظيفية على جانب التوازن بين هذه الأنساق في المجتمع، فأغفلت عوامل الصراع أو دراسة التغيير وعمليات الاتصال الثقافي، وحتى في معالجتهم للتغيير والتحديث نجدهم يركزون على التنافر الموجود مسبقاً، والذي يتحول بمرور الزمن إلى تجانس وانسجام، لذلك

نجدهم يتجهون لدراسة المجتمع أكثر من اتجاههم لدراسة الثقافة، فهم لا يسعون مثلاً إلى اكتشاف دلالة هذه القواعد بالنسبة للعلاقات القائمة بين الجماعات، ولا ينظرون إلى عنصر اجتماعي معين إلا من خلال أداؤه لوظيفته، وهذا ما عبر عنه مالينوفسكي، عندما رأى أن النظام الاجتماعي عبارة عن شبكة من التجريدات.

و لعل مما يؤخذ على الوظيفية هو إهمالها لدور التاريخ، حيث معرفة ماضي المجتمعات يظل عنصراً أساسياً يساعدنا على فهم أفضل لطبيعة حياته الاجتماعية الراهنة، وإغفالها أن التاريخ لا يقتصر على دراسة تتابع الأحداث، بل يمثل أيضاً عملية نمائية حيث أن الماضي يظل مستوعباً في الحاضر الذي يستوعب بدوره المستقبل. لذلك غلب عليها الطابع السكوني في النظرة إلى المجتمعات إذ مزجت بين الظاهرات الاجتماعية والظاهرات الطبيعية، ونفت إمكانيات التغيّر بشكل عام.

5- المدرسة البنيوية:

وتعود إلى الأنثروبولوجي الفرنسي (كلود ليفي شتراوس) الذي أكد على دور العقلانية العلمية في تأسيس الظاهرة الاجتماعية، بوصفها واقعة علمية تقبل التحليل والصياغة الرياضية الدقيقة، وقد عرف الثقافة بأنها: مجموع أنساق (بنى) رمزية تتصدرها اللغة وقواعد التزاوج والعلاقات الاقتصادية والفن والعلم والدين، وهي أنساق تهدف إلى التعبير عن بعض أوجه الحقيقة الطبيعية والاجتماعية، كما تهدف إلى التعبير عن العلاقات التي ترتبط بها الأنساق الرمزية ذاتها مع بعضها البعض. وبالتالي أعطى الثقافة طابع البنية المجردة الكامنة وراء الأنساق الاجتماعية الواقعية الملاحظة.

وعلى الرغم من التشابه العام الذي يجمع البنيوية بالوظيفية من حيث الشكل، إلا أن هناك فارقا أساسيا بينهما، هذا الفارق قائم على مفهوم "البنية الاجتماعية". فالبنية عند شتراوس، لا تؤخذ من الواقع التجريبي المباشر، على نحو ما تؤكده الوظيفية، بل من النموذج العقلي الذي تكونه من الواقع المعاش، أي أن البنية ليست كامنة في الموضوع، بل ماثلة في صميم المطلب العقلي الذي يريد إدخال الكثرة التجريبية تحت نظام أو نسق، فالبنية لا تمثل الواقع التجريبي الذي تمدنا به الملاحظة السطحية البحتة، بل الواقع العملي غير الظاهر، والذي لا بد من الكشف عنه فيما وراء المعطيات المباشرة.

إن أساس البحث عند شتراوس هو فيما وراء العلاقات اليقينية، أي البحث عن تلك البنية اللاشعورية، التي لا يمكن الوصول إليها إلا بفضل عملية بناء استنباطي لبعض النماذج المجرّدة،

وهذا ما جعله ينتقد النزعة الوظيفية التي اقتصرت على النظرة الواقعية الصرفة للنظم الاجتماعية لإبراز ما فيها من جوانب وظيفية، دون الاهتمام ببناء فكرة عقلية تتكفل بتفسير البنية الكامنة خلف المظهر السطحي للظواهر. ويبرهن شتراوس على أهمية للنموذج اللاشعوري، على اعتبار أن النماذج الشعورية، التي تسمى عادة بالمعايير، تعد من أفقر النماذج بسبب وظيفتها القائمة على تخليد المعتقدات والعادات بدلاً من تبيان دوافعها. واللاشعور عند شتراوس مختلف عن اللاشعور عند فرويد، فهو عند الأول لا يمثل القطب المضاد للشعور، بل هو يكون ماهية الواقع الاجتماعي من حيث هو تبادل وتواصل متخذاً بصورة مباشرة طابع النظام الرمزي، بما له من مقومات لا شخصية ولا زمانية. وبالتالي يتحول المجتمع من جهاز عضوي متكامل في الوظيفية، إلى مجموعة من العلاقات الرياضية المجردة في البنيوية، إذ تعبّر الثقافة -كمفهوم -عن مجموعة من الشبكات الرمزية (الواعية واللاواعية، الجمعية والفردية) التي يخضع لها الفرد. وتحليل تلك الشبكات الرمزية لا يحتاج إلى علم تجريبي (فقط) يؤطرها في قوانين كلية عامة وحتمية، بل إلى علم تأويلي يبحث عن معنى. وعليه فإن مفهوم البنية الاجتماعية لا يستند عند شتراوس إلى الواقع التجريبي، بل إلى النماذج النظرية الموضوعة بمقتضى هذا الواقع، ومن خلال ذلك توصل إلى مبدأين أساسيين: أولهما، أن ما نسميه باسم المجتمعات البدائية، إنما هي في الحقيقة بالغة التعقيد. وثانيهما، أن ليس ثمة إنسان طبيعي، فمن طبيعة الإنسان دائماً أن يتمثل الطبيعة على شكل ثقافة، وليست هناك ثقافة إلا بعد تجاوز الطبيعة، لذلك فالمهم هو التجاوز والمرور من الطبيعة إلى الثقافة. ووسائل المرور كثيرة ومتنوعة أهمها اللغة كوسيلة للتواصل، إذ أصبح العامل البيولوجي شيئاً ثانوياً بالنسبة إلى علم الثقافة. ولعل أوضح مثال بنيوي لهذا المرور من الطبيعة إلى الثقافة، هو مثال المثلث الطبخي الذي قدمه ليفي شتراوس في كتابه (النيئ والمطبوخ)، كنموذج ينتقل فيه النيئ إما إلى مطبوخ ثقافياً، وإما إلى متعفن طبيعياً، وبالتالي تمثل عملية الطبخ نشاطاً وسيطاً بين الطبيعي والثقافي. وحالما ننظر إلى السلوك البشري على أنه عمل رمزي، وهو عمل مثله في ذلك مثل إصدار الأصوات في الكلام، والتلوين في الرسم والخط في الكتابة، والتنغيم في الموسيقى، فإن التساؤل حول ما إذا كانت الثقافة عبارة عن سلوك منمّط، أو حالة عقلية، أو مزيج من الاثنين بطريقة ما، يفقد مغزاه، حيث يتحول السؤال هنا إلى عن ماذا نكون نعبر عندما نقوم بهذه الأشياء (www.alawan.org/2018/12/13/) ومن جهة أخرى، فإن الظواهر الرمزية في المنظومة الاجتماعية لا توجد بمعزل عن بعضها البعض، بل هي متحدة داخل منظومات جامعة من الرموز. وتترابد الكيانات الرمزية المختلفة مع بعضها بعضاً بوسائل تتحدد داخل المملكة الرمزية. مثال ذلك أن المحرمات المتعلقة بالطعام يمكن أن تكون ذات علاقة بمفاهيم طوطمية

مرتبطة بهياكل اجتماعية محددة ثقافياً، ويمكن أن تظاهرها تفسيرات أسطورية وتدعمها وترسخها شعائر وطقوس. وليس معنى هذا أن جميع هذه المنظومات الرمزية هي بالضرورة إما متسقة داخلياً أو مستقرة ضمن طبيعة جبلية. ولكن النقيض قد يكون صحيحاً، خاصة في أزمان التوتر الاجتماعي والتغير الثقافي. ومع هذا فإن أي تغير في جزء من منظومة الرمز ستكون له أصداؤه في مكان ما داخل المنظومة. وبالتالي ليس أمعن بالخطأ من التوحيد بين العقلية البدائية وعقلية الطفل، وأصل تعدد الثقافات إنما يعود إلى ما يمتلكه العقل من قدرة كبيرة على التأليف والتركيب والتحول انطلاقا من مبادئ وعلاقات ضرورية محددة، على غرار ما هو عليه الأمر في اللغة التي أعطاها شتراوس أهمية بالغة، واعتبرها أحد الأركان الأساسية للأنثروبولوجيا، فاللغة هي الخاصية الرئيسية التي تميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية، وعن طريقها يمكن فهم كل صور الحياة الاجتماعية، لذلك نراه يعطي الكلمة، أو الدال، في تحليله للثقافات أكثر مما يعطي للشيء المعني، أو المدلول، خاصة وإن الدال الواحد قد يكون له مدلولات مختلفة.

ويرفض شتراوس تماماً مبدأ التاريخية، رافضاً فكرة تكون العقل البشري الارتقائي ما دام من شأن هذه الفكرة أن تستلزم القول بمرور العقل البشري عبر مراحل تطورية متعاقبة، وحدوث تغييرات جذرية أو انقلابات حاسمة في طريقة إدراك الفكر للعالم، فالعقل البشري عند شتراوس واحداً عبر تاريخه، وهو في الواقع لا يرفض فكرة التقدم، لكنه يتصوره على شكل طفرات منفصلة يقول عنها أنها ليست ضرورية ولا مستمرة، بل هي أشبه ما تكون بتراكمات لضربات الحظ السعيد، وبالتالي يغدو التطور أشبه بمجموعة من ألعاب الحظ، وكأن المسألة هي تجمع عدد كبير من المعطيات التي بزيادة تراكمها، يزداد احتمال حدوث عدد أكبر من الصدف السعيدة، أما الرابح فهو مجموع البشرية، لأنها تزداد غنى وثراء. وقد قام بمحاولات حثيثة محاولاً التقريب بين السحر والعلم، إلا أن طروحاته ظلت ضمن الإطار الافتراضي، دون أن يكون باستطاعته الزعم أنها وليدة تحقيق علمي محض. والواقع إن ولع شتراوس بالرياضيات الوصفية، واستعماله لتقنيات علم اللغة، والرفض القاطع للتطورية، وتحليله مفهوم العقل البدائي بدقة غير معهودة من قبله، جعله يخطو خطوة هامة من خطوات البحث الأنثروبولوجي، ومما لا يمكن نكرانه حالياً أنه لا يمكن الحديث عن الأساطير أو أنظمة القرابة دون الرجوع إليه ونظرته البنيوية العميقة.

خلاصة:

وهكذا يتبين لنا من خلال هذه اللمحة السريعة والمجملة، كيف استطاعت الأنثروبولوجيا كعلم تهذيب نظرتنا للآخر، وهي وإن بدأت بشكل مثير للريبة، إلا أنها ما لبثت أن تجاوزت عوامل نشأتها، لتنظر للإنسان كإنسان، دون النظر إلى أي اعتبار آخر، والرسالة التي تنقلها إلينا تقول: أن خطأنا في رفض الآخر، لا يقل عن خطأ رفض الآخر إلينا . بقول شتراوس: "إن الأنثروبولوجيا تبحث عن إلهامها داخل أشد المجتمعات تواضعاً وعرضة للازدراء، وهي تؤكد على عدم وجود شيء مما هو بشري يمكن أن يكون غريباً عن الإنسان، وهي إذ تجند مناهج وتقنيات مستمدة من جميع العلوم لوضعها في خدمة معرفة الإنسان، تدعو إلى مصالحة بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين الطبيعة في أنسية معممة."

-ملاحظة هامة: تم الاعتماد في صياغة هذا الجزء على المرجع المدون أسفله اضافة الى الموقع الالكتروني.

1-كليفورد غيرتز: تأويل الثقافات – ترجمة: محمد بدوي – المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2009، ص 92، ومابعدها .

.www.Alawan.org/13/12/2018

المحور الثاني: أعلام

المحاضرة 01: الميدان والتحقيق الاثنوغرافي واكتشاف الاقتصاد البدائي: -برنسلوا مالينوفسكي نموذجا

محاضرة 02: الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية: راد كليف براون نموذجا، مفهوم الوظيفة تطور البنيوية.

محاضرة 03: اسهامات المدرسة الفرنسية: دوركايم نموذجا مع اضافة مارسال موس

المحاضرة رقم: 01 الميدان والتحقيق الاثنوغرافي واكتشاف الاقتصاد البدائي:

برنسلوا مالينوفسكي نموذجا .

مقدمة:

يعتبر مالينوفسكي من بين البحاثين الانتروبولوجيين البارزين والمتميزين، سواء من حيث تكوينه العلمي في ألمانيا، أو سيرته العلمية التي بدأها في انكلترا وأنهاها في و.م.أ، فضلا عن عدد من الدراسات الحقلية التي أنجزها في جزر المحيط الهاديء، واستراليا...بعد حصول مالينوفسكي على شهادة الدكتوراه في الفيزياء سنة 1908 التحق بمدرسة لندن للاقتصاد ليتابع تكوينا مغايرا للسابق، فبين سنتي 1910، 1915، تلقى تكوينا انتروبولوجيا في مدرسة لندن للاقتصاد، وفي سنة 1916 تمكن من انجاز اطروحة الدكتوراه في الانتروبولوجيا حول موضوع "العائلة عند سكان استراليا الأصليين "ومن خلال انجاز هذا الموضوع اكتشف عوائق الدراسة الحقلية، هذه العوائق التي جعلته أوّل بحاثة ميدان بامتياز، بعد قيامه بثلاث رحلات طويلة، اثنان منها الى الجزر التروبرياندية، وواحدة الى جزيرة ميلو خلال الفترة الممتدّة من 1915 /1918، توجت هذه الرحلات بأشهر مؤلفاته في تاريخ الانتروبولوجيا وهو "مغامرو المحيط الهادي الغربي".

- مالينوفسكي واكتشاف الانتروبولوجيا الاقتصادية:

لعل الرحلات السابقة الذكر جعلت من مالينوفسكي باحث ميدان متمرس، كما صقلت تجربته في المنهج والحقل، وكرسته أحد مؤسسي الأنتروبولوجيا الاقتصادية، بعد انجاز دراسته حول سيستام السلفات التي يتم تداولها بين أهالي الجزر والذي يسمّى "الكولا"، غير أنّه غير أنّه عاد لاهتماماته الأولى لدراسة مواضيع التنظيمات العائلية، والأنساق الأمية النسب، إذ ركّز على الزواج والحياة الجنسيّة، والتي توجت للمرة الثانية بمؤلف آخر وهو"الحياة الجنسية لدى البريين في شمال غرب ميلانيزا 1929".ومؤلفات أخرى مثل "الجريمة والعرف في مجتمع بدائي "، اضافة الى "الحياة الجنسية وقمعها في المجتمعات البدائية "ومؤلفات أخرى غزيرة تنم على التحصيل الغزير لمالينوفسكي.

-منهج مالينوفسكي المنهج والملاحظة بالمشاركة:

عرف مالينوفسكي بانتقاداته الشديدة للمدرسة التطورية والانتشارية إذ جمع عليهما عدّة مآخذ منها:

-العنصرية البارزة في طروحات التطورية، والانتشارية .

-معظم آراء هاتين المدرستين حول وصف أهالي الجزر، والقبائل، بالإباحية الجنسية، وقتل الأبناء واصطياد البشر.

لذلك دعا مالينوفسكي الى اعتماد الدراسة التجريبية، سواء بالنسبة للحياة اليومية، أو السلوكيات، والمؤسسات.

-ضرورة استبعاد الرّؤى التاريخية، وإقصاء جميع التخمينات والأساطير في الدراسة الحقلية.

-دراسة المجتمع كما هو، في الوقت الحاضر دراسة كلية لجميع جوانبه مؤسسات وأنساق.

-دراسة الثقافة بوصفها كلا واحدا.

-دراسة الثقافة من خلال الرؤية التزامنية التي تراعي وظيفة الثقافة ودورها في نفس الوقت .

-أسئلة للاختبار:

-حاول أن تناقش جهود مالينوفسكي من خلال أبحاثه، والثورة التي خاضها لتغيير نمط الدراسات الانتروبولوجية ؟يتبع الجزء الثاني الاسبوع القادم.

المحاضرة رقم 02: الميدان والتحقيق الاثنوغرافي واكتشاف الاقتصاد البدائي:

تابع برنسلوا مالينوفسكي نموذجا ..

-عزيزي الطالب، عزيزتي

الطالبة، لقد توقفنا في الحصة السابقة عند دعوة مالينوفسكي الانتروبولوجيين الى تحرير الإناسة من الدراسات التحقيقية (التقارير)العسكرية، والأمنية، الغير مؤسّسة على منهج علمي واضح، ولعلّ ثورية مالينوفسكي تتمثل في **اكتشافه للميدان، والتحقيق المباشر** بخلاف الطريقة التي كانت سائدة من قبل على يد رواد المدرسة التطورية، والعلماء الكتبيين، بمعنى رجال الدين، وقد أعطى مثالا واضحا وهو دراسته لأهالي الجزر التروبرياندية بين عامي: 1917/1915 كما اشرنا سابقا، إذ تعتبر واحدة من أطول الأعمال التحقيقية التي أنجزها مالينوفسكي وقادها بنفسه لغرض علمي وليس على سبيل الهواية.

-**الشرط الثاني** الذي سنّه مالينوفسكي هو أن تنجز المعاينة بواسطة الاندماج الكلي للباحث المجتمع المراد دراسته، بعيدا عن العنصرية والتعصب القومي، والأحكام المسبقة، وجميعة الصور النمطية عن الثقافات المغايرة وهو مايسمّى منهجيّا ب "الملاحظة بالمشاركة ".

-الملاحظة بالمشاركة هي ما يسمّيه مالينوفسكي بشرط الاقامة في مجتمع الأهالي لمدّة تتجاوز الستّة أشهر .يقول مالينوفسكي في هذا السيّاق مايلي: "....أن ينقطع الباحث عن مجتمع البيض، ، بأن يظلّ على أوثق صلة بمجتمع الأهالي .."(مالينوفسكي، المغامرون ص63).

-اتقان لغة الأهالي، يعدّها مالينوفسكي شرطا آخر، لأنّ الباحث الذي يعتمد في الدراسة الحقلية على الترجمة أو المخبرين، قد يخون المعنى الحقيقي لمعاينته والأمثلة على ذلك كثيرة .

-يصرّ مالينوفسكي على التحقيق المباشر، وعدم الاعتماد على الاستمارة، أو المقابلة القائمة على ما يقوله المخبرين، أو المترجمين .

مزايا الملاحظة بالمشاركة:

*تمكن الباحث من تسجيل ظواهر لا يمكن للمخبر أن يخبر بها.-المخبر هو المترجم .

*تمكن الباحث من مراقبة تصريحات المخبر والتحقق من مدى مطابقتها للواقع.

*تمكن الباحث من قياس المسافة بين ماهو مثالي وماهو واقعي حقيقي من خلال مقابلة المعطيات التي يقدمها المعرف مع نتائج المعاينة المباشرة.

ونذكر الآن بتعليمات مالينوفسكي المنهجية لانجاز الدراسة الحقلية:

1-الاقامة لنجاح تقنية الملاحظة بالمشاركة والنظر في معطياتها.

2-تعلم اللغة فمعرفة اللغة المحلية شرط ضروري بدل الاعتماد على تضليل المترجم.

3-ضرورة التوثيق العياني، الاحصائي من أجل الاحاطة ب: "تنظيم القبيلة وتشريح ثقافتها"

-أسئلة للاختبار:

-عزيزي الطالب، عزيزتي الطالبة، حاول أن تنجز مقالا حول جهود مالينوفسكي المنهجية، وتوجهاته البحثية ؟.

***المرجع: جاك لومبار: مدخل الى الاثنولوجيا، تر حسن قبيسي .المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .المغرب .ط1س.1997**

المحاضرة رقم 03: الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية: راد كليف براون نموذجا

-عزيزي الطالب، عزيزتي، ننتقل في هذه الحصة الى أحد مؤسّسي الأنتروبولوجيا البريطانية، وأحد رفقاء برونسلوا مالينوفسكي، وهو العلاّمة راد كليف براون(1881-1955)، تجدر الاشارة أعزّائي الطلبة الى أنّنا أشرنا في المحاضرات السابقة في السّداسي الأوّل الى حالة العداء التي سادت لفترة من الزمن بين الانتروبولوجيتين الثقافية، والاجتماعية، كذلك أشرنا في تعريفنا سابقا للانتروبولوجيا الاجتماعية، بأنّها احدى فروع الانتروبولوجيا التي تدرس التنظيم الاجتماعي، مفهومي البناء، والوظيفة، بخلاف الانتروبولوجيا الثقافية التي تشتغل على دراسة الأنساق والتصوّرات الثقافية .

يعتبر راد كليف براون أوّل من نظّر البنية، وجعلها تقترن بدراسة الوظيفة .

-تتميّز الانتروبولوجيا الاجتماعية بتوجّهها السوسيولوجي إذ تشترك في ذلك مع دوركايم، حيث بيّن –براون- أنّ العلم الوحيد هو علم الأنساق الاجتماعيّة .

-يعتبر راد كليف براون أنّ الانتروبولوجيا الاجتماعية هي: "فرعا من فروع الاجتماعيات المقارنة "، وهي المقولة نفسها التي يردّدها دوركايم ومارسال موس .

-يشترك مع هؤلاء كذلك "ايفنز بريتشارد"أحد تلامذة راد كليف براون الذي يعترف بأنّ الانتروبولوجيا الاجتماعيّة تعتبر جزءا من الدراسات السوسيولوجية (ايفانز، ب، الاناسة المجتمعية.198ص19).

فالقاسم المشترك بين مجال الانتروبولوجيا الاجتماعية، والسوسيولوجيا هو مفهومي البنية والوظيفة، وقبل ذلك فقد اهتمت المدرسة البريطانية بقيادة راد كليف براون وتلامذته بتحليل التنظيمات الاجتماعية العائلية والسياسيّة فضلا عن اهتمامها بالدين والاقتصاد، حيث انجزت أكبر عدد من الدراسات الحقلية مابين 1920و1960، رغم تعدد مناهجها، واختلافها ما بين دوركايم وموس، وبراون، وتلامذته.

عزيزي الطالب، عزيزتي الطالبة تجدر الاشارة الى أنّ راد كليف براون أحد رفقاء مالينوفسكي فقد عاصره، واتخذ نفس موقفه في رفض التطورية والانتشارية، وكذلك في رفض المقاربة التاريخية، من خلال دعوته الى القيام بأبحاث تتجاوز حدود الاستقراء الى الاهتمام بجمع الوقائع، في الواقع الراهن المعاش كما هي دون اللجوء الى الماضي.

-لقد اهتمّ براون بدراسة العلاقات الاجتماعية والبنية المجتمعية.

-يعتبر راد كليف براون أنّ الوظيفة هي مساهمة العضو الاجتماعي في اشتغال الأعضاء الاجتماعية الأخرى، وبعبارة أخرى فإنّ كل مؤسّسة اجتماعية إنّما تساهم في استمرار المؤسسات الاجتماعية الأخرى . لقد تعرّض براون اثر هذه الرّؤية الى انتقادات كثيرة بحيث أنّه بالغ في التضامن الاجتماعي والانسجام متجاهلا بذلك الاختلافات وحالات الفوضى، والتفكّك الاجتماعي وغيرها.(قباري م إ، 1998، ص136).

-يعتبر براون أنّ البنية الاجتماعيّة تتحدد بعلاقات اجتماعيّة، والتي تتّصف بنوع من الاستمرار، من حيث المكان والزمان، وبالتالي فهي ليست ظرفيّة أو طارئة .

-يعتبر براون أنّ مفهوم الوظيفة يرتبط بشكل مباشر مع مفهوم البنية لأنّ وظيفة مؤسّسة ما تضمن استمرار وجودها، مثال: اذا اختلّت وظيفة الاسرة في التربية والتنشئة فقدت الأسرة وجودها، ونفس الشيء بالنسبة للقانون كمؤسّسة، أو كنسق، والمدرسة وغيرها.

-لقد أنجز راد كليف براون تحقيق مونوغرافي واحد أشرف عليه في الجزر الاندمانيّة بين سنتي (1906-1908)، والذي نشره سنتي 1922 بعنوان **"أهالي الجزر الأندمانيّة"**ضمنه وصف لتنظيم ذلك المجتمع ومعتقداته الدينية.

-من انتاج راد كليف براون مايلي:

دراسة الأنساق القرابية، والانساق العائلية والزوجية في افريقيا.

ومن مؤلّفاته: 1-جزر الأندمان 1922.

2-البنية والوظيفة في المجتمع البدائي 1952.

3-علم طبيعي للمجتمع 1957.

4-المنهج في الانتروبولوجيا الاجتماعية 1958.

-ملاحظة:

- ط1.

أسئلة للاختبار:

في ضوء الافكار السابقة:

- حاول أن تحدّد العلاقة بين الوظيفة والبنية؟.

-يقول راد كليف براون مايلي: "إنّ المعاينة المباشرة تبيّن لنا أنّ الكائنات البشريّة تتوحّد ضمن شبكة معقّدة من العلاقات المجتمعيّة، وعبارة "البنية المجتمعيّة "إنّما تدلّ على هذه الشبكة من العلاقات القائمة بالفعل " مقتبس من كتاب البنية والوظيفة ص291.

ناقش هذه النص بناءا على مادرست .

المحاضرة رقم 04: اسهامات المدرسة الفرنسية: دوركايم نموذجا:

-عزيزي الطالب، عزيزتي الطالبة، قد يلفت انتباهكم ادراجنا ل دوركهايم (1858-1917)، الذي يعتبر عند البعض أحد مؤسّسي الاجتماعيات (السوسيولوجيا)الفرنسيّة مع كثير من التحفّظ على هذه الفكرة، إلا أنّ الحقل الأنتروبولوجي والذي نشط دوركهايم في أحد مجالاته وهو الجانب الديني الذي نقصده .

ديفيد إميل دوركايم David Emile Durkheim(1858-1917) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، من بين تلامذة أوغست كونت، أحد مؤسسي علم الاجتماع المعاصر، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على التجريب. أبرز آثاره: في تقسيم العمل الاجتماعي 1893، قواعد المنهج السوسيولوجي 1895 . قدم أعمالا حول مواضيع كثيرة كالأخلاق، القانون، الجريمة ... الخ

-يعتبر دوركهايم أنّ الانتروبولوجيا احدى الوسائل، أو أحد المراجع المعتمدة، والتي تساعدنا على فهم المجتمعات بغية المقارنة بينها، واستخلاص القواعد العامّة المتعلقة بطبيعة الانسان المجتمعيّة، ففي نظره الطبيعة البشريّة واحدة، وليس هناك اختلاف بين الانسان "البدائي" أو "الحديث".وإذا كان كذلك فكيف نحدد الجانب الانتروبولوجي في كتابات دوركهايم ؟

-يعتبر كتاب **"الحياة الدينية في أشكالها الأولية " سنة 1912**، أحد مؤلّفات دوركهايم الانتروبولوجيّة، رغم أنّ خوضه في دراسة المجتمعات البدائيّة كان قبل هذه السنة بحوالي -20- عشرين سنة تقريبا إثر صدور كتابه" **تقسيم العمل المجتمعي" سنة 1893.**

-تعتبر أعمال **التطوررين** ذات البعد التاريخي –كما أشرنا سابقا- تعتبر أحد المراجع الرئيسة التي اعتمد عليها دوركهايم، بحثا عن الأصول، وعن نسق تعاقب المعتقدات، عبر التاريخ حيث كانت النفس، وعبادة الآباء الأوّلين، والطبيعة والتضحية، والسحر وما يميّزه عن الدين وصولا الى الأسطورة، أحد أهمّ المسائل التي تعرّضت لها الأنتروبولوجيا الدينيّة.

كذلك "المانا"، ومقولة التابو، والسحر، والمقدّس، وهي المقولات التي استعادها دوركهايم وهذه المقولات الأخيرة التي اشتغل عليها دوركهايم، غير أنّه توصل بعدها الى نتائج مختلفة ومغايرة عما توصل اليه التطوريون .

-ناقش دوركهايم دور الديانة البدائية في اطروحته عن الاشكال الأولية للحياة الدينيّة، وتوصل الى أن العبادة لا تتوجه الى الحيوان بالذات بوصفه واقعا حيّا، بل بوصفه رمزا أو صورة من شأنه أن يتحوّل الى رمز الجماعة، رمز ال"نحن" رمز التضامن، وبالتالي للالتقاء مع الذات "الاجتماعوية"، أعزائي الطلبة، وأنتم تعرفون تأليه الجماعة عند دوركهايم من خلال التصورات الجماعية التي يتصورها البشر ف"اله العشيرة "مبدأ طوطمي لايسعه أن يكون شيء آخر سوى العشيرة نفسها .

-لقد ربط دوركهايم الطوطمية بمقولة المانا، حيث نظر للعالم باعتباره: "سيستاما، أو نسقا من القوى الذي يحدّ بعضها من تأثير بعض، ويحتوي بعضها بعضا، مما يؤدّي الى توازنها ".

-أسئلة للاختبار:

عزيزي الطالب: بعيدا عن الطريقة المدرسيّة اليك هذه الفقرة لتوضيح مكانة الانتاج الانتروبولوجي لدوركايم أكثروهو نص ل كلود ليفي ستروس:

" يجد المرء في الحياة الدينية كل ما يجعل نتاج دوركهايم يتصف بالجلال من ناحية، والهزال من ناحية أخرى يجد أوّلا المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه منهجه، وهو في الوقت ذاته المبدأ الأساسي الذي يقوم عليه كل منهج اجتماعي (سوسيولوجي)..."

-حاول مناقشة الاشكال الاولية للحياة الدينية لدوركهايم بناءا على ما درست وقراءاتك الشخصية ؟

المرجع: جاك لومبار: مدخل الى الاثنولوجيا، تر حسن قبيسي .المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .المغرب .ط1س.1997

المصادر والمراجع:

أبو زيد، حامد (2001) الطريق إلى المعرفة، دار الكتاب العربي 46، مجلة العربي، الكويت.

اسماعيل قباري محمد(1998): راد كليف براون، مؤسسة المعارف، الاسكندرية، مصر ط1.

رالف لينتون (1967): الأنثروبولوجيا العالم الحديث: ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت،

إيفانز بريتشارد (1986): الإناسة المجتمعية:، ترجمة: حسن قبيسي، دار الحداثة، بيروت، ط1، .

بريتشارد، إدوارد (1975) الأنثربولوجيا الاجتماعية، ط 5، ترجمة: أحمد أبو زيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية .

جاك لومبار (1997): مدخل الى الاثنولوجيا، تر، حسن قبيسي، المركز الثقافي العربي. بيروت لبنان، ط1.

الجباوي، علي (1996 /1997) الأنثروبولوجيا – علم الإناسة، جامعة دمشق .

جيرار ليكلرك (1982): الأنثروبولوجياوالاستعمار: – ترجمة: جورج كتورة، معهد الإنماء العربي، بيروت، .

حسين فهيم: قصة الأنثروبولوجيا:، عالم المعرفة الكويتية، عدد 98 س1986.

كلود ليفي شتراوس (1973): الأنثروبولوجيا البنيوية ج1 – ج2: – ترجمة: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.

لطفي، عبد الحميد، (1979) الأنثروبولوجيا الاجتماعية، دار المعارف بمصر، القاهرة.

لينتون رالف (1967): الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث: – ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان..

لينتون، رالف (1964) دراسة الإنسان، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.

لينتون، رالف (1967) الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث، ترجمة: عبد الملك الناشف، المكتبة العصرية، بيروت.

مجموعة من المؤلفين(1997): نظرية الثقافة: – ترجمة: علي سيد الصاوي، عالم المعرفة الكويتية، عدد 223..

محمد صفوح الأخرس (2001): الأنثروبولوجيا وتنمية المجتمعات المحلية:، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا .

هرسكوفيتز مليفيل (1973): أسس الأنثروبولوجيا الثقافية: – ترجمة: رباح النفاخ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا ..

هرسكوفيتز، ميليفل. ج (1974) أسس الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة: رباح النفاخ، وزارة الثقافة، دمشق .

وصفي، عاطف (1977) الثقافة والشخصيّة، دار المعارف بمصر.

يحيى مرسي عيد بدر (2000): أصول علم الإنسان (الأنثروبولوجيا):، مكتبة الإشعاع، القاهرة مصر، ط1..

Nigholson , C (1968) Anthropology Development and Personality , 2 nd Ed , New York, Harper .

فهرس المحتويات

المحور الأول: مدخل مفاهيمي.....3
المحاضرة الأولى: مدخل الى الانتروبولوجيا الاجتماعية: 4
-التعريف /النشأة /التطور. 4
1- مرحلة النشأةق18: 6
2-مرحلة التطور ق19: 7
3- مرحلة التخصص ق20: 10
3-تحديد عمليات التغيير الاجتماعي: 14
2-الأنتروبولوجيا الثقافية:.....15
مدارس الأنثروبولوجيا: 16
1-المدرسة التطورية: 16
2- المدرسة الانتشارية:.....21
3-المدرسة التاريخية النفسية: 23
4-المدرسة البنائية الوظيفية: 24
5- المدرسة البنيوية: 26
خلاصة: 29
المحور الثاني: أعلام.....30
المحاضرة رقم: 01 الميدان والتحقيق الاثنوغرافي واكتشاف الاقتصاد البدائي: 31
- مالينوفسكي واكتشاف الانتروبولوجيا الاقتصادية: 31
-منهج مالينوفسكي المنهج والملاحظة بالمشاركة:.....32
-أسئلة للاختبار: 32
المحاضرة رقم 02: الميدان والتحقيق الاثنوغرافي واكتشاف الاقتصاد البدائي: 33
-أسئلة للاختبار: 34

المحاضرة رقم 03: الأنثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية: راد كليف براون نموذجا.....35
أسئلة للاختبار: 37
المحاضرة رقم 04: اسهامات المدرسة الفرنسية: دوركايم نموذجا 38
-أسئلة للاختبار: 39
المصادر والمراجع: 40